



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

قسم اللغة والأدب العربي

كلية: الآداب واللغات

تجليات الرمز ودلالاته في ديوان عاشق من فلسطين

لمحمود درويش

مذكرة معدة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في الأدب العربي. تخصص: أدب حديث ومعاصر

إشراف الدكتور:

*يوسف العايب

إعداد الطالبة:

* شيماء عبيد

لجنة المناقشة

الجامعة	الصفة	الأستاذ	الرقم
جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	رئيسا	د. عبد الكريم شبرو	01
جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	مشرفاً ومقرراً	د. يوسف العايب	02
جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	عضوا	أ.السعيد قرفي	03

السنة الجامعية: 1436 - 1437 هـ / 2015 - 2016 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا^ط

إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

سورة البقرة الآية 32

صَدَقَ اللهُ الْعَظِيمُ



إن الثواني والساعات، والشهور، والأعوام تنقضي ويفرقها الدهر في لجته... إن اللحظات والأزمة
تبيد... وكل شيء إلى الزوار صائر، فلا يبقى غير صدى الأفكار، وغير أنين الكلمات...
ها هنا على أديم هذا البياض أخط كلمات دافئة، تختال نشوى درب الأسطر، هي كلمات أضمنها
إهدائي هذا:

* أمي التي كانت أجنحة تخيم، وأبي الذي كان أيدي تبارك.

* الإخوة والأخوات والأقرباء جميعاً.

* إلى صديقة العمر وتوأم روعي فاطمة الزهراء فرحات.

* إلى صاحب الروح الجميلة والوجدان النبيل، صديقي عبد الرؤوف لبيهيات.

* وإلى أساتذتي الذين أكن لهم كل الاحترام والتقدير.



شكرا وعرفانا

إن من الحكمة والأدب أن يكن الإنسان المحبة لكل من أسدى له معروفاً، وساعده على تخطي مسألة من مسائل الحياة إجمالاً، والأمر تكون له قيمة حضارية وأخلاقية إذا تعلق بالبحث العلمي. ابتداءً أرفع أجل التقدير والعرفان لأستاذي الدكتور *يوسف العايب* الذي شرفني بتبني هذا البحث مذ أن كان مشروعاً إلى غاية خروجه لدنيا الطباعة والمناقشة، شاكراً له توجيهاته ونصائحه القيمة، التي كانت بالنسبة لي ساجاً من الزلل والتهيان البحثي، مثنية في الأبان ذاته على رحابة صدره وصبره المنقطع الذي هياً لي جو إكمال فصول الدراسة، ولا يفوتني في هذا المقام أن أرفع آيات العرفان والتقدير والمحبة للدكتور عبد الكريم شبرو شاكرة له نصائحه الجليلة، ولا يفوتني أن أتقدم إلى كل من ساعدني ولو بكلمة تشجيع قريباً كان أو بعيداً من أجل أن أكمل البحث، وإلى كل الباحثين في حقل الأدب العربي إجمالاً والجزائري خصوصاً من أجل الوقوف على الأبعاد الجمالية والفكرية والحضارية التي ينطوي عليها أدبنا العربي الذي شكل في أزمنة غابرة الوجدان والفكر الإنساني، وصنع من العرب حضارة كانت تضرب إليها أكباد الإبل من أجل الاستفادة من إشراقها، فكذلك يجب علينا نحن اليوم تقديم أدبنا العربي في أطباق مثلى ترقى إلى مستوى الفكر الإنساني الذي يحمله.

مقدمة



تأثرت الساحة الأدبية في الوطن العربي نتيجة الحرب العالمية الثانية بتلك الهزات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية العنيفة، التي زعزعت الثقة بالمروروث الأدبي لدى المثقف العربي، مما جعلته أرضاً خصبة لقبول التيارات الأدبية الوافدة من وراء الحدود، لاسيما تلك التي ظهرت في النصف الأخير من القرن 19م، كالمذهب الرمزي الذي وجد قبولا جارفا من لدن المتلقي العربي، بوصفه تياراً يعرض أدبا جديداً يتم بالغموض وخفاء الدلالة، وهو ما يتفق مع رغبات الطلائع المثقفة، التي اتخذت من الرمزية منفذاً للتعبير عن الواقع المهزوم بأسلوب الإيحاء والإشارة، إخمادا للبراكين المتأججة في نفوسهم، وإيصالا للرسالة الشعرية عبر وسائل أسلوبية غير مباشرة، وهروبا من بطش السلطان، وردا للقيود الاجتماعية التي تحرم ما يبوحه الشاعر الحر لنفسه، لاسيما في البيئات الاجتماعية المحافظة، فضلا عن كونه منهجا حديثا معبرا عن الأحاسيس والمشاعر والعواطف بطريقة الرمز والإيحاء.

ومهما يكن من أمر، فإن الأديب في جميع مراحل التاريخ ميال بطبيعته نحو الغموض والإبهام، وذلك لمنح مضامين نصوصه آفاقا بعيدة ومساحات واسعة، من خلال الغموض الذي يلف أجواء نصه، لينفتح فيما بعد على تأويلات متعددة وتفسيرات مختلفة، تقود المتلقي إلى عوالم ما وراء الحس (الميتافيزيقا) لينتهي به المطاف إلى سراديب الأدب الغيبي.

وعندما نتأمل الشعر نعرف أن أجل اختراع ابتدعته البشرية هو اللغة، بل لعله الإنجاز الأعظم عبر تاريخ وجودها، فقد اتخذت هذه اللغة في الشعر وظيفة متعالية فوق الوظيفة النفعية التي أنيطت بها لتكون مجرد وسيلة للتفاهم والتواصل، ومن هنا كان لابد للشعراء أن يوظفوا اللغة للارتقاء بها من المستوى العادي إلى المستوى التداولي الشعري الرؤيوي الكشفي، الذي لا تستطيع الأولى أن تصل إليه، لأن الاستعمال اليومي أو المنطقي للغة يجعلها عاجزة عن الوصول إلى هذا المستوى التعبيري الشعري، مما دفع الشعراء إلى اصطناع الانزياح الأسلوبي وسيلة يستطيعون من خلالها تحميل اللغة عبء إخراج تلك الأحاسيس الجوهرية الكامنة في أعوار النفس الإنسانية متوسلة الرمز والإيحاء، لغة تستطيع أن تبوح بما لا تتحمل لغة المخاطبة البوح به، ولهذا كان الرمز الفني واحدا من أهم

الوسائل التي ابتدعها الشعراء لتطوير اللغة، ومن هنا كان الرمز تلك البوابة التي تدخل منها اللغة إلى ساحة الحلم الأثيرية، حيث يتجلى عمق الحياة، فيرى الشاعر ما لا يراه الآخرون، بل ما لا يستطيع الآخرون رؤيته، ولا يستطيع تجسيده وإظهاره إلا عبر الرمز وأنواعه.

وظف الشاعر المعاصر الرمز إذن ليتخطى به حدود الزمان والمكان ويغوص به في بحر الأحلام لعله يجد ما يعبر به عن خياله الواسع الذي يمثل تربة خصبة للبناء الشعري.

والرمز في أبسط صورته هو أحد الأدوات التي يستخدمها الشاعر في عمله الفني، وهو يؤدي دورا كبيرا في تشكيل الوعي والمعاني والصور المعرفية سواء من اللاوعي أو من واقع المجتمع الخارجي، وذلك عن طريق التصوير الرمزي في العمل الفني.

واستنادا إلى هذا وددت دراسة ظاهرة حضور الرمز في شعر محمود درويش، فوسمت بحثي بعنوان "تجليات الرمز ودلالاته في ديوان عاشق من فلسطين لمحمود درويش"، ومبررات اختياري هذا الموضوع تعود بالأساس إلى:

- أهمية الرمز في التجربة الشعرية والدور الهام الذي يقوم به، وما يضيفه هذا التشكيل الفني من جمال وسحر في خلق تساؤلات لا نهائية تثير القارئ في الشعر العربي المعاصر، وبروزه بشكل واضح جلي فيه.

- الكشف عن مدى معرفة القدرة الإيحائية لبعض الرموز المعاصرة في تشكيل القصيدة، وتوليد الدلالة.

- رغبة ذاتية في تتبع الظاهرة عند محمود درويش؛ لأن الرموز التي استدعاها في مدونته تشكل مخيالنا، وقريبة من وجداننا وذواتنا.

والهدف من هذه الدراسة هو تناول ميزة فنية في شعر محمود درويش بالتحليل والمتابعة والتأويل، ذلك لأن ظاهرة الرمز بشتى أنواعه استغرقت حيزا شعريا كبيرا في تجربته الشعرية، وقدرة الشاعر على تمثله في مدونته، إضافة إلى ماهية الدلالات التي يقولها الرمز.

وبناء على هذه الأهداف المرجوة فإن الدراسة تتعرض لإشكال، وهو كيف وظف شاعرنا الرمز في شعره؟، وماهية الدلالات الرمزية التي أفرزها الشاعر مع المادة الرمزية؟. وتتفرع عن هذه الإشكالية أسئلة فرعية نلخصها في الآتي:

1- هل توظيف الرمز عند الشاعر المعاصر مجرد تقليد في أم أن الضرورة الفنية والواقعية استدعت توظيفه؟

2- ما هي الرموز الأكثر حضورا في شعر محمود درويش؟

3- ما هي الدلالات التي أفرزها تعاطي الشاعر مع مختلف الرموز؟.

وتمثل هذه الأسئلة جوهر البحث، وتتطلب متابعة التجربة الرمزية في جوانبها الفنية والموضوعية، ورصدها رسدا تحليليا يقف على أبعادها وآثارها في الرسالة الشعرية، وتجلي قيمها الفكرية. وحرصا على أن لا أكرر ما تناولته الدراسات السابقة والمتعلقة بالشاعر المدروس فإنني لم أتناول وأتوسع في بعض الجوانب، كحياة الشاعر ومصادر تجربته الشعرية، مكتفيةً بالتركيز على ما يرتبط بموضوع الدراسة.

وقد انتهجت في هذا البحث الخطة الآتية:

مقدمة وضحت فيها أسباب الاختيار، الإشكالية، الخطة، ثم أهم المصادر والمراجع.

فصل أول كان نظريا وسمته ب: في ماهية الرمز والرمزية، ويتضمن مبحثين، الأول بعنوان: ماهية الرمز، حيث بدأنا بمفهوم الرمز لغة واصطلاحا ثم أنواع الرمز وشروطه ومنابعه وسماته وطرق استخدامه، ثم تطرقنا إلى القيمة الفنية والأدبية للرمز، أما المبحث الثاني فكان بعنوان: الرمزية ونشأتها في الآداب العالمية، وتندرج تحته أيضا عناصر إذ بدأنا بمفهوم المذهب الرمزي، ثم انتقلنا إلى نشأته وتطوره، وأخيرا خصائص الرمزية.

أما الفصل الثاني فكان تطبيقيا تناولت فيه: أنماط الرمز ودلالته في الديوان، تطرقنا فيه بداية إلى أنماط الرمز ودلالته في شعر محمود درويش ووقفنا من خلال ذلك على الرموز الطبيعية والأسطورية والدينية وكذا رموز أخرى متنوعة، مستشهدين في كل نمط بأبيات شعرية من ديوان درويش.

ثم ذيلت بحثي بخاتمة لخصت فيها أهم نتائج هذه الدراسة.

وقد قام هذا البحث على المنهج السيميائي وكذا الأسلوب، وهذا لا ينفي طبعاً انفتاح البحث على مجموعة أخرى من المناهج دعت إليها ضرورات الدراسة ومقتضياتها منها: المنهج التاريخي، الوصفي، البنيوي..

وقد اعتمد البحث على بعض المراجع التي ساعدت في إنجازها، مثل كتاب "الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر" لأحمد محمد فتوح، و"الرمزية في الأدب العربي" لدرويش الجندي، و"الرمزية السريالية في الشعر الغربي والعربي" لإيليا الحاوي، و"الرمزية والأدب العربي الحديث" لأنطوان غطاس. ورغم استفادة البحث من مراجع كثيرة ومتنوعة، إلا أنه لا يخلو من صعوبة، وأهمها كثرة المادة العلمية التي تعالج موضوع الرمز والرمزية ما شئت فكري، فجعلتني أختار الأهم فالمهم منها، وأغلق على غيرها، وكذا صعوبة الحصول على الدلالات الرمزية، وذلك مبررنا في العودة إلى القواميس الأسطورية أو الكتب التاريخية والدينية.

وإذا كان لا بد من ختام لهذا الابتداء فسوف لن يكون إلا اعترافاً مشبوهاً بالشكر الخالص والتقدير للدكتور يوسف العايب الذي كان نعم الأستاذ والأخ والإنسان، فتحية إكبار وإجلال لك يا أستاذ.

الفصل الأول

ماهية الرمز والرمزية

I-المبحث الأول: ماهية الرمز

1- تعريف الرمز

2- أنواع الرمز

3- شروط الرمز ومنابعه

4- سمات وطرق استخدام الرمز

5- القيمة الفنية والأدبية للرمز

II- المبحث الثاني: الرمزية ونشأتها في الآداب العالمية

1- مفهوم المذهب الرمزي

2- نشأة المذهب الرمزي

3- تطور الرمزية

4- خصائص الرمزية

I- ماهية الرمز

1- تعريف الرمز:

إن استعمال الرمز في القصيدة العربية الحديثة والمعاصرة سمة مشتركة بين أغلبية الشعراء على مستويات متفاوتة، والرمز بشتى صوره البلاغية والإيحائية والمجازية تعميق للمعنى الشعري، وإذا وُظف بشكل جمالي منسجم ومتناسق فإنه يسهم في الارتقاء والعلو بشعرية القصيدة. وسنحاول فيما يأتي تقديم تعريف للرمز لغة واصطلاحاً.

أ- لغة: رَمَزَ إليه ويرمز أشار، أو هو الإيماء بالشفيتين أو العينين أو الحاجبين أو الفم، أو اليد أو اللسان، وفي فقه الثعالبي هو مختص بالشفة.¹

وجاء في لسان العرب لابن منظور: "تصويت خفي باللسان كالهمس ويكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة صوت، وإنما هو إشارة بالشفتين، وقيل الرمز في اللغة كل ما أشرت إليه مما يبان باللفظ أي شيء أشرت إليه بيد أو بعين".²

وفي التهذيب للأزهري فالرمز يعني: "الحركة والتحريك (...). كما يقال للجارية الغمازة بعينها رمازة أي ترمز بفمها وتغمز بعينها...".³

كما جاءت لفظة الرمز في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۗ قَالَ ءَأَيُّكَ ءَلَّا تَكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ۗ وَادُّكُرَ رَبُّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴾⁴.

وقد ورد في تفسير قوله تعالى: "إلا رمزا"؛ أي إشارة لا تستطيع النطق فيها.⁵

¹ نسيمه بوصلاح: تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، رابطة الإبداع الثقافية الوطنية، ط1، 2003، ص70.

² ابن منظور: لسان العرب، مج3، دار الصادر، بيروت، دط، 1997، ص119.

³ أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري: تحذيب اللغة، مادة (رمز)، تح: أحمد عبد العليم البردوني، الدار المعزية للتأليف والترجمة، مطابع القاهرة، مصر، دط، دت، ص250.

⁴ آل عمران، الآية: [41]

⁵ ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، دار مصر للطباعة والنشر، القاهرة، دط، دت، ص251.

ويذهب الزمخشري إلى القول في هذا الصدد: "أن الإشارة أو الرمز تكون بالشفيتين أو الحاجبين، وضرب بذلك مثلاً: "دخلت عليهم فتغامزوا أو ترامزوا".¹

ويرى ابن رشيق القيرواني: "أن أصل الرمز الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم، ثم استعمل أقصر إشارة".²

ومجمل القول أن الرمز يحمل معنى الخفاء وعدم الوضوح والإشارة، وهو كل ما يحل محل شيء آخر في الدلالة عليه لا بطريقة المطابقة التامة، وإنما بالإيحاء أو وجود علاقة غرضية أو متعارف عليها.³

ب- اصطلاحاً:

نلاحظ من الجذر العربي اللغوي للرمز خروجاً إلى دائرة الاصطلاح في قوله، وربما أطلق الرمز على ما يشير إلى شيء آخر، وهذه العلاقة الداخلية التي قام بها "بارت" والتي تربط الدال والمدلول، وتظهر جلياً على حد قوله فيما يسمى (رمزاً)، فالصليب مثلاً يرمز إلى المسيحية، إذن العلاقة بين الصليب والمسيحية هي علاقة رمزية، ويعتبر الرمز وسيلة إيجابية من أبرز وسائل التصوير وبخاصة في الشعر أو في النثر وهي قديمة، ولكن الشاعر المعاصر غالباً ما يستخدمه في تجاربه الشعرية للانتقال الحدائثي من بلاغة الوضوح إلى بلاغة الغموض في سعيه الدائم وراء اكتشاف وسائل تعبير لغوية يثري بها لغة الشعرية.

فمنهم من يعرف الرمز على أنه: "لحظة انتقالية من الواقع إلى صورته المجردة، وهو الإطار الفني الذي يتم فيه الخروج من الانفعال المباشر إلى محاولة عقلنته، وهو تجسيم للانفعال في قالب جمالي".⁴

وهذا قدامة بن جعفر يقول عن الرمز: "إنه اصطلاح بين المتكلم وبعض الناس".⁵

¹ ابن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، دار الصادر، بيروت، ط1، 1992، ص251.

² ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، تح: محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981، ص300.

³ مجدي وهبة: معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، دط، 1974، ص552.

⁴ إبراهيم رماني: أوراق في النقد الأدبي، دار الشهاب، باتنة، ط1، 1965، ص167.

⁵ درويش الجندي: الرمز في الأدب العربي، دار نضفة، مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، دت، ص44.

أما ابن رشيق القيرواني: "ينظر إليه على أنه نوع من أنواع الإشارة، ويعد مرادفا للإشارة الحسية، وأنه استعمل حتى صار مثلها أو نوعا منها".¹

والرمز عند "كارل يونغ": "وسيلة إدراك يستطيع التعبير عنه بغيره، فهو أقل طريقة ممكنة للتعبير عن شيء لا يوجد له؛ أي معادل لفظي، وهو بديل عن شيء يصعب أو يستحيل تناوله في ذاته".²

فالرمز: "أداة لتفهم الأشياء، وفهم شيء أو موقف يختلف عن الاستجابة لهذا الشيء أو الموقع أو التنبؤ لوجوده".³

ويعرفه "كاسير" بقوله: "الرمز بضعة من العالم الإنساني الخاص بالمعنى، فالإنسان وحده هو الذي كشف عن شكل رمزي جديد للخيار والإدراك".⁴

أما السكاكي: "فقد صنف الرمز كنوع من أنواع الكناية، معتبرا أن الكناية تتنوع إلى تعريض وتلويح ورمز وإيحاء وإشارة".⁵

كما أن الرمز بصفته يعد ركنا من أركان الثلاثية (رمز، إشارة، أيقونة)، التي طرحها "شارل ساندرز بيرس" في تصويره للعلامة، يفرض علينا أن نفرق بين هذه العناصر باعتبارها علامات:

فالأيقونة (Icône): يدل على موضوعاتها من حيث أنها ترسمه أو تحاكيه، وبالتالي يشترط فيها أن تشاركه ببعض الخصائص؛ أي أن تمثله من جهة التشابه، وبالتالي فالأيقونة تحدد بعلاقات التشابه مع الواقع الخارجي.

والإشارة (Index): هي علامة تدل على موضوعه من حيث أنها تحدد وتعين وفقا لهذا الموضوع؛ أي أن الإشارة أو القرينة تتحدد برابطة الجواز "Contiguile"

¹ ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، ص 304

² شايف عكاشة: مقدمة في نظرية الأدب، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ج1، دط، دت، ص25.

³ المرجع نفسه، ص87.

⁴ عاطف جودة نصر: الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس، بيروت، لبنان ط3، 1983، ص 21.

⁵ محمد يعيش: شعرة الخطاب السوفي الرمز الحمري عند ابن الفارض أتمودج، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 2003، ص123.

ويمكن القول بأن الرمز هو الدلالة على ما وراء المعنى الظاهري مع اعتبار المعنى المقصود أيضا، هو كذلك باب للدخول إلى عالم الغموض دون أن يحس المتذوق إحساسا حادا بالغموض والغرابة. ومن هنا فقد ارتبط مفهوم الرمز أدبيا بالمعنى اللغوي، حيث هو إشارة حسية تمتاز بالإيجاء وغير المباشرة، ويعد ذلك بسبب الغموض بالقياس إلى الإطناب المباشر.

فالرمز واضح في موضوعه يتحدد عن طريق التواضع والاتفاق هذا من منظور الرمز للثلاثية البيرسية، وعلامة الرمز تكون وحدة مغلقة بشكل يحدد معناها.

2- أنواع الرمز:

للمرزم عدة أنواع مختلفة، وقد جاء هذا التنوع تبعا للآراء المختلفة، فلكل باحث نظريته الخاصة حول أنواع الرموز، وتتجلى أنواع الرموز فيما يلي:

أ- الرمز الديني والصوفي:

بيّن لنا "الطوسي" معنى الرمز الصوفي قائلا: "الرمز معنى باطن مخزون، تحت كلام ظاهر لا يظفر به إلا أهله".¹

حيث يوظف الصوفي دلالات وصور قد تبدو واضحة، إلا أنه لا يهتم بما يقدر ما يهتم بالحقيقة الكامنة خلفها.

ومن الرموز التي استخدمها الشعراء، رموز الخمرة التي يقرون حالة الوجد الصوفي بحالة السكر والعريضة، لكنها في الأصل هروب من الواقع واستسلام وعدم المقاومة، ورموز المرأة التي يرمز إلى الحرية والسمو على الواقع، حيث كانت المرأة وما زالت منبعاً غزيراً يستمد منه الشعراء تصوراتهم. فالشاعر عندما يهرب إلى الأنثى فإنما هو يعبر عن رد فعل الذات المنكسرة التي عجزت عن مواجهة الواقع، فالتجأت للمرأة كتعويض عن الفردوس المفقود.²

¹ أبي نصر السراج الطوسي: اللمع في التصوف، تح: د: ع الباقي سرور، ع الحليم محمود، دار الكتب الحديثة و مكتبة المثنى بغداد، دط، (1380هـ/1960م)، ص 414.

² عبد الحميد هيمة: البنات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر، مطبعة هومة، ط 1، 2002، ص 105.

ومجمل القول أن الرمز الصوفي هو عبارة عن فكرة مبينة، ومذهب يذهب يذهب الصوفي ثم يفيضه مقحما عن الأشياء.¹

ب- الرمز الأدبي:

إن الرمز الأدبي لصيق ومرتبطة بالتجربة الشعورية التي يعانها الشاعر، والتي تمنح الأشياء مغزى خاصا، وليس هناك شيء في ذاته أهم من أي شيء آخر، إلا بالنسبة للنفس، وهي بؤرة التجربة، فعندئذ تتفاوت أهمية الأشياء وقيمتها، وعند استخدام اللغة في الشعر استخداما رمزيا لا تكون هناك كلمة هي أصلح من غيرها لكي تكون رمزا.²

أما "تنداك" فيعرفه بأنه: "تناظر مع شيء غير مذكور يتألف من عناصر لفظية يتجاوز معناها الحدود الحرفية، ليجسد ويعطي مركبا من المشاعر والأفكار".³
ومن أهم أنواع الرموز الممكنة هي:

- الرمز الذي يظهر من حين لآخر في إنتاج أديب ما، ويتطور في أعماله المختلفة حتى يكتسب أهمية خاصة في جملتها ودلالاتها مميزة بداخلها مثل: "الأرض الطيبة" في مسرح شكسبير.

- الرمز الذي سيطر بصورة مركزية على التركيب الأدبي في عمل محدد مثل: المطر في قصيدة "أنشودة المطر" لبدر شاكر السياب.⁴

- الرمز الذي ينتقل من شاعر إلى آخر، ويكتسب حياة جديدة في سياق مختلف مثل "عوليس" في انتقاله من الملاحم اليونانية القديمة إلى قصة "جيمس جويس".⁵

- الرمز الذي يمارس وظيفة في إطار ثقافة عامة مثل: رموز العهد القديم والعهد الجديد (التوراة والإنجيل).⁶

¹ رجاء عيد: لغة الشعر قراءة في الشعر العربي الحديث، مطبعة أطلنس، القاهرة، دط ، 1985، ص 201.

² عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، ط 1، 1994، ص 172.

³ المرجع نفسه، ص 11.

⁴ شايف عكاشة، مقدمة في نظرية الأدب، ص 91.

⁵ المرجع نفسه، ص 91.

⁶ المرجع نفسه، ص 91.

- الرموز التي تتردد في ثقافات مختلفة ليس بينها علاقة تاريخية محافظة على قيمتها فيها جميعا.

- وينتمي لهذا النوع جميع الرموز النموذجية وخاصة الطبيعية مثل: القمر، الماء...¹

والرمز الأدبي ليس مجرد وسيلة يستخدمها الأديب أو الشاعر لإضفاء لون الغموض على ما يريد تقديمه من قضايا، "فليس لهذا النوع من الرموز أي بعد في ذاته، بل هو أشبه باللغز، وهذا النوع من الرموز هو الذي اهتمت باستخراجه الدراسات القائمة على المناهج السياقية التي تقوم عادة بالبحث عن الأشياء التي ترمز لها الأعمار الأدبية".²

ج- الرمز الأسطوري:

لقد شاع استخدام الأسطورة في شعرنا المعاصر وخاصة في تجارب الثمانينات، ولعل ذلك يرجع إلى عجز اللغة التقليدية عن أداء وظيفتها التواصلية، (فقد وجد الشاعر من خلالها منفذا لإثراء تجاربه الشعرية والفنية، وبهذا كانت الأسطورة الفتحة السحرية التي تنطلق من خلالها طاقات الكون اللانهائية إلى كل صور الحياة الإنسانية).³

يعتبر "أدونيس" من الشعراء الذين استعملوا الرمز الأسطوري في أدبنا العربي، كذلك بدر شاكر السياب وغيرهم من هؤلاء، فهم وظفوا هذا النوع من الرموز، وكان التوظيف بارعا، محققين بذلك نجاحا بارزا في قصائدهم.

أما على الرموز الأسطورية التي استعملت بشكل مكثف في الشعر فهي (السندباد، تموز، عشتار، المسيح، قابيل، هايل، برومثيوس، أدونيس، أبولو).⁴

وعليه فالرمز الأسطوري نتاج معرفي جمعي، له استرداد في الماضي والحاضر والمستقبل، وبه يحضر الماضي في وعاء الحاضر ليمتد ويتكرر في المستقبل.

¹ شايف عكاشة، مقدمة في نظرية الأدب، ص 91.

² المرجع نفسه، ص 94.

³ خليل مرسي: قراءات في الشعر العربي الحديث المعاصر، اتحاد كتاب العرب، دمشق، د ط، 2000، ص 136.

⁴ سعيد بن رزقة: الحدائث في الشعر العربي، أبحاث النشر والتوزيع، لبنان، ط 2، 2004، ص 243.

د- الرمز التراثي:

التراث مصدر غني ينبغي للشاعر أن يستمد منه رموزه وذلك "منطلق التناص معه، حيث يستطيع من خلاله أن يبين مضامين الموروث في بوتقة جديدة تصدر باسمه وباسم عصره، ومن هنا تظل الصورة التراثية ذات قيمة رائعة من خلال مرورها في ذاكرة الشاعر، بل من خلال استقرارها لديه، وفي -آنذاك- تظل ملكا له وحقا مباحا".¹

وتوظيف الرمز التراثي في العمل الشعري يضفي عليه عراقة وأصالة، ويمثل نوعا من امتداد الحاضر وتغلغل الحاضر بجذوره في تربة الماضي الخصبة المعطاة.²

ومن أهم الظواهر التي شهدتها أدبنا العربي الحديث احتوائه على الرموز التراثية مستلهمة من التاريخ للتعبير عن العديد من القضايا التي يعيشها الشاعر، فيمنح الماضي بالحاضر ليكون التواصل والتداخل، حيث ينسكب الماضي بكل إشارات وأحداثه على الحاضر بكل ما له من طزاجة اللحظة الحاضرة.³

والرمز التراثي يلبي حاجيات عديدة يجددها "علي عشري زايد" على المستوى الفني بالموضوعية والدرامية، وعن التراث، وعلى المستوى النفسي، بالهروب عن غزبة الحاضر إلى عالم حلمي أفضل.⁴ ومجمل القول أن الرمز التراثي استعمل بكثرة، والأمر الذي يعلل هذا الحلم أن التراث هو مصدر غني يستمد منه الشعراء المعاصرون رموزهم .

ه- الرمز العلمي:

يعتبر "عز الدين إسماعيل" الرمز العلمي وسيلة اكتشافها الإنسان في وقت متأخر نسبيا، وذلك عندما أراد أن يشير إلى مادة المعرفة إشارة موجزة، وطبيعة الرمز العلمي أنه يشير إلى موضوع دون أن يرتبط به، فهو ينشأ نتيجة لعملية ذهنية تجريبية⁵، وهو أيضا ما ينوب ويوحى بشيء آخر لعلاقة بينهما

¹ التطاوي عبد الله: المعروضات الشعرية، أنماط و تجارب، داء قباء، القاهرة، ط2، 1998، ص 84.

² زايد علي عشري: بناء القصيدة العربية الحديثة، دار الفصحى، القاهرة، دط، دت، ص 111.

³ رجاء عيد: لغة الشعر قراءة في الشعر العربي الحديث، ص 201.

⁴ إبراهيم رماني: الغموض في الشعر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية، بن عكنون الجزائر، ط3، 1991، ص 245.

⁵ عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر (قضاياها و ظواهره الفنية)، ص 198.

من قرابة أو اقتران أو مشابهة أو اصطلاحاً، إنه مجرد أداة تسيير الفكر، فالإشارة أو العلامة تعلن للإنسان عما يشير إليه.¹

فالرمزية العلمية "تهدف إلى السيطرة المنطقية على الظواهر المعطاة، فالعلم يتحرك على صعيد منطقي هو صعيد التطورات العامة والقوانين، ولا يوجد هذا المستوى العقلاني من تلقاء نفسه، وإنما يرتبط حيثما كان بشيء أساسي".²

والرمز العلمي يتطلب عادة فرضيات ليصل إلى حقائق تكون مفروضة أصلاً³، فهو الذي يتجه بواسطة العلاقة الرمزية إلى المعرفة.⁴

3- شروط الرمز و منابعه:

أ- شروط الرمز:

قام مجموعة من العلماء بدراسة الرمز، وأقروا بأن لا بدّ من وجود شروط تساهم في ضبطه وتحديد ملامحه، وتوصلوا إلى أربعة أمور وهي:

- 1- خاصية تشكيلية تصويرية: مما يعني موقفاً متجهاً إلى اعتبار الرمز لا في ذاته وإنما فيما يرمز إليه.
- 2- قابليته للتلقي: أي أن هناك شيء غير منظور يتصل بما وراء الحس، يتم تلقيه بالرمز الذي يجعله موضوعياً.⁵
- 3- قدرته الذاتية: أي أن الرمز له طاقة خاصة به منبثقة عنه تميزه عن الإشارة التي لا حول لها في نفسها.

¹ شايف عكاشة، مقدمة في نظرية الأدب، ص 86.

² عاطف جودة نصر: الرمز الشعري عند الصوفية، ص 19.

³ شايف عكاشة، مقدمة في نظرية الأدب، ص 90

⁴ المرجع نفسه، ص 19

⁵ المرجع نفسه، ص 93/92.

4- تلقيه كرمز: مما يعني أن الرمز عميق الجذور اجتماعيا وإنسانيا، ويصبح من الخطأ تصوير قيام الرمز ثم تقبله بعد ذلك، لأن عملية تحول الشيء إلى رموز تقبله على هذا الأساس تعد عملية واحدة لا تتجزأ إلى مراحل.¹

ب- منابعه:

لما كانت الذات المبدعة مصبا لروافد ثقافة هائلة، وخبرات وتجارب متنوعة وموروثات إنسانية كبيرة فإنها تقفز إلى الخاطر أثناء عملية الإبداع الشعري، وباستقراء الرموز وتتبع حالاتها في مصادرها، أمكننا أن نعود بها إلى منبعين رئيسيين هما الابتداء الذاتي، والحياة الواقعية والتراث القومي والإنساني.²

- الابتداء الذاتي: يعتمد على الحياة الباطنية للشاعر، بكل مكوناتها ومخزونها وقدرتها على تشكيل صور منفردة تتجاوز سطوح الأشياء إلى كل مكنون عميق.

إن تعامل الشاعر مع واقعه يخلق لديه رؤية ذاتية خاصة، وتصنف الرؤى في وعي الشاعر فيستغلها رموزا لأحاسيسه. فهو حين يتفاعل مع الطبيعة تغدو ظواهرها جزءا من مخزون خلايا يبنى منها فيما بعد أجنحته الفنية.

واستغل الشعراء المعاصرون المطر والرعد والفرس والريح وغيرها في ابتداء الرموز، لما يعتمل في قلوبهم وأعماقهم كما فعلت الشاعرة "فدوى طوقان" في قصيدتها (الطوفان والشجرة) فاتخذتها رمزا للصراع بين الخير والشر، بين القوى الظالمة والمظلومة. كما استغلت الإعصار والريح والعاصفة وغيرها في قصائد أخرى.³

وقد فعل مثل ذلك الشعراء الفلسطينين في العصر الحديث، فاتخذ الشاعر محمود درويش مثلا الكوكب رمزا لأحاسيسه الوجدانية في قصيدته "قصائد في حب القديم":

ترجّل، مرة، كوكب

وسار على أناملنا... ولم يتعب

¹ صلاح فصل: النظرية البنائية في النقد الأدبي، بيروت، القاهرة، ط 1، دت، ص 302.

² عدنان حسين قاسم، التصوير الشعري، رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، الدار العربية للنشر والتوزيع، مصر، دت، ص 194.

³ المرجع نفسه، ص 194.

و حين رشفت عن شفتيك ماء التوت
 أقبل، عندها، يشرب
 و حين كتبت عن عينيك
 نقظ كل ما أكتب
 و شاركنا و سادتنا... و قهوتنا
 و حين ذهبت ... لم يذهب
 لعلّي صرت منسيا لديك
 كنغمة في الريح نازلة إلى المغرب..
 و لكني إذا حاولت لن أنساك
 حطّ على يدي كوكب.¹

أخرج الشاعر عاطفة الحب التي تملكته من خير الظل إلى الضوء، فرمز له بالكوكب. وجعل الكوكب يلازمه، يسير على أنامله، وكلما التقى محبوبته شاركها، وشرب معها رحيق الحياة الطاهرة لتنمو ويكبر. إذا رأى الشاعر عيون محبوبته كأن الكوكب جمالها وبهاءها، وحين ذهبت المحبوبة ظل شاهدا طالعا وناطقا بوجودها، ودليلا على مكانتها في القلب، وإذا نسيته فإنه لا ينساها، لأنه لو حاول أن يفعل ذلك لحط ذلك الكوكب على يده يذكره بها ويرسمها في كيانه.²

تأمل الشاعر حفل انطباعاته الخاصة، وبواسطة عقله الباطن الذي يعنى بتخزين الصور الغامضة للأشياء، ويجدسه وبصره كشف عن العلاقة الخفية بين الكوكب والحب في مخزونه الخاص، فجعله رمزا استثار به الدفين في صور موحية، وبخاصة بعد تجديده في كثافة المادية والتعامل معه كشيء شفاف، وقد يعود هذا الربط بين الكوكب والحب إلى أمر لا ندركه نحن في حياتنا الواقعية.³

¹ محمود درويش: الأعمال الأولى، عاشق من فلسطين، رياض الريس للكتب والنشر، ط1، 2005، ص320.

² عدنان حسين قاسم، التصوير الشعري، ص 195.

³ المرجع نفسه، ص 195

ولكن هذا الابتداء الذاتي الذي يتغذى على الحياة الباطنية، وقد يُوغل في الغموض، ويصل حين اللجوء إلى الأحلام، وهي من خصائص الاتجاه السريالي الذي اشتغل الرؤى في الربط بين الأشياء في أشكال فوضوية تند عن المنطق وتجاوز قوانينه.¹

وهنا يعظم استعمال التراكيب اللغوية العجيبة التي تنكث بنية الجملة الشعرية المألوفة.

وتجدر الإشارة على أن من واجب الشعراء حين يتدعون رموزا خاصة أن يخلقوا السياق الفني المؤهل لجعلها أكثر قدرة على البث والإيجاء، لأن الرموز تستمد قوتها وفعاليتها من سياقها. كما أنها شيفرة لا يفكها غير تلك السياقات.²

- الحياة الواقعية والتراث الإنساني: وهو المنبع الآخر الذي يشترك في تكوينه وإمداده حاضر أية أمة في واقعها الاجتماعي والسياسي والفكري والاقتصادي، أما ماضيها فإنه يمدّها بما يكتنزه الرافد التراثي من العصور المتعاقبة، من ظروف المعارف، والأحداث التاريخية، والإشارات الأسطورية والقصص الخرافية والحكايات الشعبية التي تنبع من اللاشعور الجمعي.

ويستطيع الشاعر من خلال واقعه الاجتماعي، وما يعاينه وما يبذله من تضحيات أن يبدع رموزا جديدة، وهو (في هذا يحتاج إلى قوة ابتكارية فذة يستطيع أن يرتفع بالواقعية الفردية المعاصرة إلى مستوى الواقعة الإنسانية العامة ذات الطابع الأسطوري، كما أنه يستطيع أن يرتفع بالكلمة العادية المألوفة إلى مستوى الكلمة الرامزة).³

ومن حق الشاعر أن يشغل بعض الشخصيات المعاصرة، التي شغلت حيزا متسعا في ضمير الأمة، فيضع منها شيئا خارقا له مدلولاته وإيجاءاته، كشخصية فاطمة برناوي، وعبلة طه، وجميلة بوحيرد، وأبي علي إباد، ودلال المغربي ... أو بعض الأحداث كمدبحة ديرياسين، كفر قاسم، وتل

¹ المرجع السابق. ص 196

² المرجع نفسه. ص 196

³ المرجع نفسه، ص 197.

الزعتري، وبحر البقر، وصبراً وشتيلاً... وكل هذه الرموز تستقر في رموز المجتمع، وترسب في وعيه بتأثير معاناته ومكابداته للأخطار التي تواجهه.¹

مجد الشاعر بدر شاكر السياب المجاهدة الجزائرية جميلة بو حيرد، واكتسبها صبغة أسطورية خارقة فقال في قصيدته إلى "جميلة بو حيرد":

عشتار أم الخصب والحب والإحسان، تلك الربة الوالهة

لم تعط ما أعطيت، لم ترو بالأمطار ما رويت: قلب الفقير.²

فرفعها درجة فوق عشتار إلهة الخصب والنماء، وجعلها تعطي أكثر مما تعطيه عشتار للناس الفقراء.

وتزدحم حقول التراث العربي، والإنسان بالأحداث والمواقف والمفارقات والبطولات، والقصص الشعبية والخرافات والشخصيات الدينية والأدبية والحكم والأمثال السائرة، وكلها منابع يمكن استثمارها رموزاً معبأة بالإيحاءات الفياضة والدلالات المركزة .

وإذا أراد الشاعر أن يكون مجوداً فلا بد أن يقف على كنوز التراث، ويكون كالنحلة التي تمتص رحيق الأزهار، فيستوعب خلاصة ما خلفه السلف، فتكون إضافاته القيمة امتداداً لما وصل إليه، وفي حدود وعيه لفنه³، وصدوره عن تجاربه، والتراث كما يقول "رتشارد هو جارت": إذا ما قرئ كما ينبغي لا شك سيمنحنا فرصة كبيرة لتوسيع اقتناصنا الخيالي لكثير من نواحي التجربة الإنسانية.

ويمكن تقسيم التراث من حيث كونه منبعاً أصيلاً من منابع الرمز إلى:

أ- التراث التاريخي: يحاول الشاعر المعاصر استحضار المواقف التاريخية ذات الدلالة المعينة للإيحاء بالأبعاد الحضارية والإنسانية المعاصرة، ومن خلال استحضاره لتلك المواقف وما صاحبها من تجارب شعورية، يضع بين يدي المتلقي عالمين، عالماً قديماً له قدسيته، ومعاصر له ضرورته.

¹ عدنان حسين قاسم، التصوير الشعري، ص 197.

² بدر شاكر السياب، الديوان، دار العودة، بيروت، لبنان، دط، 1979م، ص 185.

³ عدنان حسين قاسم، التصوير الشعري، ص 197.

إن الفن ذو طابع شمولي، لأنه يمتد من الماضي محترقا الحاضر نحو المستقبل، بل ويضم الأزمنة الثلاثة، ويمكن الشاعر من الخروج من نطاق ذاتيته المغلقة إلى تجربة الإنسان في هذا العصر، وفي كل عصر، واستطاعت الشاعرة فدوى طوفان أن تحقق ذلك في قصيدتها "آهات أمام شبك التصاريح عند جسر اللبني" فجمعت بين شخصيات تاريخية سخرتها لإضاءة جوانب رؤيتها الإنسانية والفنية، واستحضرت شخصية المرأة الهاشمية التي اقترنت باستغاثتها للمعتصم، والتي هبّ الخليفة لإغاثتها، وحدثت على أثرها واقعة عمورية، وانتصر المسلمون فيها، وانتقموا لتلك المرأة المستغيثة، وخلصوها من أيدي الروم.¹

ب- التراث الأدبي: يحاول المحدثون استخدام الشخصيات الأدبية أو الأقوال المشهورة التي اقترنت بها أوعية رمزية لمواقف معاصرة ناسبتها، ليمنحوها قاعدة تراثية تنطلق منها لتكسب الحقائق المعاصرة بعدا تراثيا فيزداد عطاؤها. كما الحال عند الشاعر عز الدين المناصرة في قصيدته التي أهداها إلى الشاعر القديم عمر معد يكرب "ذهب الذين أحبهم"
ذهب الذين أحبهم وبقيت مثل السيف فردا.

وحاول الشاعر المعاصر أن يصور قوة العزيمة التي تحلّى بها الشاعر القديم على الرغم من افتقاده لكل من يجب في حومة الوعي، ليرمز إلى الدور الإيجابي والفاعل الذي يمكن أن يقوم به الشاعر لتحريك همم الجماهير واستشارة النخوة للقتال رغم الهزيمة والانكسار.²

ه- التراث الديني: كانت الأديان السماوية "الإسلام والمسيحية واليهودية" مصدرا من مصادر التي نهل منها الشعراء المحدثون رموزهم التراثية، فكانت التوراة والإنجيل والقرآن الكريم منبع ذلك الورد، فقد أخذوا منها شخصية سيدنا محمد ﷺ، المسيح موسى، أيوب، جبريل، حبقوق، نوح وعزار، عليهم السلام.

¹ عدنان حسين قاسم، التصوير الشعري، ص 200.

² المرجع نفسه، ص 202.

وفي قصيدة "مطر" للشاعر محمود درويش أيضا التي يقول فيها:¹

يا نوح هبني من غصن زيتون

ووالدتي ... حمامة

إنا صنعنا جنة

كانت نهايتها صناديق القمامة!

يا نوح!... لا ترحل بنا

إنا الممات هنا سلامة

إنا جذور لا تعيش بغير أرض

ولتكن أرضي قمامة!

يعصر الشاعر كل الدلالات والإيحاءات التي تحوط لفظة "نوح" ويتوجه إليه من حيث هو رمز

للسلام والنجاة، ويطلب منه أن يهبه مقومات السلام، وأمارته غصن الزيتون والحمامة.

لكن الشاعر لا يريد لنوح أن يقع بسفينته، بل يريد للقصة أن تحول لتعدي غرضه الفني وموقفه

الإنساني.²

د- التراث الشعبي: بالطريقة ذاتها التي حاول فيها الشعراء المحدثون استغلال الطاقات الإيحائية التي

يملكها التراث الديني والأدبي والتاريخي، حاولوا استغلال الإمكانيات الثرية التي تحتزنها الشخصيات

الشعبية مثل: أبي زيد الهلالي، وسيف ابن أبي يزن، والسندباد، وعنتر بن شداد، والزناقي خليفة،

ويأجوج ومأجوج، وغيرهم من الذين ارتبطوا في أذهان الناس بمواقف خارقة من البطولة والتضحية أو

قوة الشكيمة والعزيمة بما يتوقون إلى تحقيقه، وحاول الشعراء أن ينتشلوا شخصيات أخرى من الكتب

التي تناولت قصصا مثل "ألف ليلة وليلة" و"كليلة ودمنة" وغيرها.³

¹ محمود درويش، عاشق من فلسطين، ص123.

² عدنان حسين قاسم، التصوير الشعري، ص206 - 207.

³ المرجع نفسه، ص209.

هـ- التراث الأسطوري: عمد الشعراء المحدثون إلى استلهاهم الإشارات الأسطورية وإلباس الحادثة الأسطورية ثوبا جديدا يتفق وتجاربهم الشعورية، ولكي تقوم بوظيفتها الجمالية، فإنه يتعين على الشاعر أن يملأ معيانتها بالمغازي الرمزية الجديدة، ممتزجة بالمعاني التي تضيفها التجارب الإنسانية عبر القرون المتوالية والمتعاقبة منذ التاريخ الضارب في القدم.¹

واشتغل الشعراء كثيرا على تلك الإشارات الأسطورية في مثل قول الشاعر محمود درويش في قصيدته "في انتظار العائدين":

أكواخ أحبابي على صدر الرمال
وأنا مع الأمطار ساهر
وأنا ابن عوليس الذي انتظر البريد في الشمال
وناداه بخار، و لكن لم يسافر
لحجم المراكب، و انتحى على الجبال.²

فقد استخدم الشاعر أسطورة "عوليس" اليونانية استخداما مغايرا لدلالته الأصلية، فأضاف عليها دلالات أخرى معاصرة تتفق مع التجربة وأهدافها الإنسانية، فإذا كان عوليس يسافر ملبيا دعوة البحار، فإن شاعرنا يحوّر الأسطورة ويرفع الرحيل ويختار الأرض، ويضغط نحو إبراز التناقضات بين الدالتين التراثية والمعاصرة، للتركيز على الهدف الذي يريد أن يوحى به إلى المتلقين.³

4- سمات وطرق استخدام الرمز:

أ- سمات الرمز:

- الإيحاء: إن الشاعر رسالة تتمثل في أن يختلف لدى القارئ نفس الحالة التي مرّ بها أو على الأقل حالة معادلة لها، وإذا لم يكن في الإمكان التعبير عن التجربة فلا يوجد أقل من الإيحاء بها.

¹ عدنان حسين قاسم، التصوير الشعري، ص 210.

² محمود درويش، عاشق من فلسطين، ص 121.

³ عدنان حسين قاسم، التصوير الشعري، ص 211.

فالإيحاء هو أن يكون الرمز مفتوحاً على دلالات مختلفة ومتباينة في نفس الوقت، حيث هو عنوان للإبداع والجمال الفني للتجربة الرمزية من حيث الكثافة والعمق، وتعدد القراءات والتأويلات.¹ والإيحاء يمثل عنصراً أساسياً في الأدب الرمزي، يقول ملارمي "إن السعادة تتحقق في أن تخمن قليلاً، والإيحاء يخلق جواً من الحلم، إنه استخدام للسر بطريقة الرمز، وذلك بأن تشير شيئاً ما قليلاً لتدل على الحالة النفسية، لما كانت الحالة النفسية التي يهدف الرمزيون إلى التعبير عنها يعجز العقل والتشبيه والمجاز عن التعبير عنها، فإنهم ركزوا أساساً على قوة الإيحاء..."²

- **الغموض:** اتصفت التجارب الرمزية بالغموض، والرمزيون يعدون أنّ الغموض ليس أمراً طارئاً على الشعر، بل إنه ملازم لطبيعته، لأن النفس غامضة وتجربة غامضة، فكيف يفسر عنها بالوضوح دون أن تندثر وتندثر وتتعضن؟ والغموض ليس الإبهام المعتمد بل إنه تلك العلاقة الشفافة التي تتراءى الأشياء من قبلها أو إنها مثل مياه الغدير عميقة وجلية.³

يرى "ابن أثير" في (المثل السائر) "أن أفخر الشعر ما غمض فهو لا يعطيك غرضه إلا بعد ملاحظة"⁴

فالشعر الرمزي بالضرورة يكثر فيه شيء من الغموض في تكوينه وتأسيسه.⁵ وعليه فالشاعر كلما نزع عن ذلك الغموض نزل إلى الأفكار والصور التعادلية والحقائق الجاثمة فإنه يكون قد استسلم إلى وطأة النثر ونقل المادة وامتنع عن فعل الخلق ومعاينة روح الحالة في تجربته.⁶

- **الاتساع:** وهو اللفظ الذي يتسع في التأويل أو التعبير الرمزي، قال في هذا "السبكي" لأمر التأويل: "وهو الكلام تتسع تأويلاته فتتفاوت العقول فيها لكثرة احتمالاتها".⁷ فالدلالة الرمزية تتسم بالتراكم الدلالي للمعاني التي ينتجها التأويل.

¹ درويش الجندي: الرمزية، في الأدب اللغوي الحديث، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، مصر، ط2، 1958، ص 20.

² تسعديت آيت حمودي: أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم، دار الحدائق، لبنان، ط1، 1986، ص 27 - 28.

³ إيليا الحاوي: في النقد والأدب الكاتب اللبناني، لبنان، بيروت، ط1، 1980، ج5، ص 64.

⁴ ابن الأثير: المثل السائر، تح: أحمد الصوفي، دار النهضة، مصر، القاهرة، دط، ج4، ص7.

⁵ تشارلز تشادويك: الرمزية، تر: نسيم إبراهيم يوسف. مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1991، ص 41.

⁶ إيليا الحاوي: الرمزية السريالية في الشعر الغربي والعربي، دار الثقافة، لبنان، بيروت، 1983، ص 117.

⁷ بهاء الدين السبكي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، القاهرة، مصر، ج4، 1937، ص 469.

فالرمز إذن يوسع من مداركنا وإغناء عواطفنا ويجعلها تتجاوز بنظرها السطح إلى العمق، فقد يكشف سطح الحب عن الكراهية في العمق، وقد تكشف السعادة على السطح عن تعاسة قائلة في العمق، كذلك عمق الواقع قد يكشف تناقض مع سطحه.¹

- **الانفعالية:** وتعني أن الرمز حامل انفعال لا مقولة، وهو بذلك يختلف عن الرموز المنطقية والعلمية، التي هي مقولات ومفاهيم لانفعالات وأحاسيس، فهي تأتي من طبيعة التجربة الجمالية التي هي طبيعة انفعالية بالضرورة، فالرمز الفني إنما أتى ليكشف انفعالا ويعبر عن التجربة لا لي طرح موقفا فكريا.²

- **التخييل:** ويعني أن الرمز نتاج مجاز لإنتاج الحقيقة، وهذا المجاز محكوم بطبيعة الأثر الجمالي التي تخلقه الظواهر والأشياء في الذات المبدعة. بمعنى أن التخييل لا ينبغي أن يكون سائبا من الرمز من الكينونة الواقعية، وهذا ما يؤكد "أدورنو" حيث يرى أن الانفلات المطلق من الكينونة الواقعية لن يؤدي إلا إلى تذييل مجاني رخيص ومحدود القيمة.³

- **الحسية:** ومنها يكون الرمز مجسدا؛ أي أن التحويل الذي يتم فيه الرمز لا ينهض بتجديد الأشياء من حسيتها بل ينقلها من مستواه الحسي المعروف إلى مستوى آخر، غير أنه لا بد من الإشارة إلى أن الحسية في الرمز لا تتنافى والإيجابية فيه.⁴

- **السياقية:** وتعني أن الرمز ليس له أهمية خارج السياق الفني، إذ أن الظاهرة الطبيعية الواحدة يمكن أن تتولد منها عدد لا محدود من الرموز الفنية، فلا غرابة إذا في أن يتناقض رمزان على الصعيد الجمالي وهما من كينونة واقعية واحدة.⁵

¹ تشارلز تشادويك، الرمزية، ص 19.

² سعد الدين كليب: منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، دط، 1997، ص 36

³ المرجع نفسه، ص 36

⁴ المرجع نفسه، ص 37

⁵ المرجع نفسه، ص 37.

ب- طرق استخدام الرمز:

يبني السياق الرمزي من دالتين إحداهما حقيقية، والأخرى غير حقيقية، يتلاعب الشاعر بهما، وباستقرار سريع للشعر العربي المعاصر، نجد أن معظم الشعراء يستخدمون رموزهم في الأغلب بإحدى الوسائل: المراوحة، الاشتقاق والإبانة.

- **المراوحة:** أن تتناوب الدالتان الحقيقية وغير الحقيقية، فيتحدث الشاعر مرة عن الدلالة الحقيقية، ثم يعود لينتقل منها إلى الدلالات غير الحقيقية.¹ ثم يتحدان أو ينفصلان.

وقد أكثر الشعراء الفلسطينيون المعاصرون من المراوحة بين الحبيبة والوطن أو بين الأم و الوطن، يقول الشاعر محمود درويش في قصيدته "عاشق من فلسطين":

رأيتك في جبال الشوك

راعية بلا أغنام

مطاردة أو في الأطلال...

رأيتك في خوابي الماء والقمح

محطة رأيتك في مقاهي الليل خادمة.²

تنقل الشاعر بين الدالتين الحبيبة و الأرض، و ظل يراوح بينهما حتى نهاية القصيدة.

وتجدر الإشارة إلى أن مراوحة الشاعر بين الأرض والحبيبة له ما يبرزه، يمارس الحبيب تجربة إنسانية عميقة محقورة في ثنايا قلبه، مغروسة في هوائه الذي يتنفسه.

إن ارتباط الحبيب بما يجب حبال مفتولة قوية وأمراس حديدية لا يستطيع الانفلات منها، كما أن انتزاع الإنسان من وطنه وأرضه، الذي تتبع كرامته من ثراء، يعني موته النهائي حتى لو كان حيا، كالسمة الخارجة من الماء مكتوب عليها الفناء.³

¹ عدنان حسين قاسم، التصوير الشعري، ص 228-229

² محمود درويش، عاشق من فلسطين، ص 89.

³ عدنان حسين قاسم، التصوير الشعري، ص 228

وإذا كان حال المواطن في ارتباطه بوطنه على هذه الشاكلة فإن الانتقال من تلك الحالة إلى حال المحب، يوجد في نفوسنا من التزاوج الموقفي¹

كما أن النقلة بين الأرض والحبيبة يولد إحساساً ينبش كل تجارب الحب، في وقت ذاته يستشير كل تجارب الإنسان فوق أرضه.²

- الاستشفاق: وهو أن يطرح الشاعر بين أيدينا الدلالة الواقعية، ومن خلال تلك الدلالة تستشق المعنى الرمزي، وفي استطاعتنا أن نلتقي الدلالة الواقعية وأن نتوقف عندها غير متجاوزينها إلى المعاني التي تكمن خلفها، يقول الشاعر ممدوح عدوان في قصيدته "الصحراء"³:

كنا في الصحراء

ظمأى نبحت عن قطرة ماء

ننتظر الغيث فلا يأتي

من أي سماء

كنا كوما لا نعرف

إن كنا موتى أو أحياء

ترمز المقطوعة إلى تجدد الحياة بعد الموت، لأننا إذا نظرنا إلى المعاني الرمزية التي تكمن وراء واجهة الدلالة الواقعية، فإننا نجد أن الصحراء والظمأ رمز لجفاف الحياة العربية قبل الهزيمة والإيحاء بإخفاق العرب في تحسين طريقهم إلى أن بدأ العدوان الذي أزاح الغيوم عن العيون، وجعلهم يتطلعون إلى النصر/الغيث، وأخيراً للحياة الجديدة مع الماء، ويمكننا أن نرتضي الدلالة الظاهرية للمقطوعة ونتعامل معها كحقائق واقعية⁴

¹ المرجع السابق، ص 229.

² المرجع نفسه، ص 229.

³ المرجع نفسه، ص 230.

⁴ المرجع نفسه، ص 231.

- الإنابة: وهو أن يضع الشاعر كلمة لتتوب مناب موقف فكري أو شعري مكتمل تستحضره في أذهان المتلقين، وهذه الإنابة قد تكون عنصرا من عناصر الطبيعة، أو غير ذلك من الظواهر ذات المدلولات الخصيصة.

وتجدر الإشارة إلى أن الداليتين الواقعية والرمزية تقفان جنبا إلى جنب، في حركة تفاعل مستمر في حالة الإنابة، ويتمحور عملهما في تغذية الجو الشعوري العام الذي يولده البناء الفني المتكامل للقصيدة.¹

5- القيمة الفنية والأدبية للرمز:

بعد أن اتضحت أمامنا صورة الرمز من مفهوم وأشكال، لنحاول فيما يتبع التطرق إلى أهميته وقيمه كتعبير أدبي، إذ أصبحت هذه الأداة ظاهرة الشعر العربي الحديث، حيث أعطته صبغة جذابة زادت رفعة ودلالة وبثت فيه روحا جديدة، فجاء الرمز حاملا في طياته العديد من القيم الجمالية والفنية الخالصة وتحقيق الجمال الأدبي الرفيع². فمن أبرز هذه القيم وأهمها ما يلي:

أ- **ديمومة الرمز:** إن الرمز بديمومته في طاقاته الإيحائية يقوم أولا من عدم القبول بمحتوى محدد وسياق محدد، و ثانيا كونه حاملا انفعالا لا مقولة ومن كونه حالة جمالية، ولعل هذا ما يعلل هيمنة الإحساس الانفعالي المكتفعل على النصوص الشعرية ذات البنية الرمزية، حيث الثنائيات المضمر والمعلنة تقدم حبالا أكثر من ظاهرة أو موضوع.³

ب- **حركية الرمز:** إن الرمز "بطبيعته المتحركة يمثل قيمة فنية وأدبية، لأنه انتقال مستمر يضع في هذه الجوامد الواقعية حياة ويجولها إلى كائنات نفسية إذا صح التعبير، لأنه لا يراها إلا من خلال الذات الأزلية التغير".⁴

¹ المرجع السابق، ص 233-234.

² أنطوان غطاس كرم: الرمزية و الأدب العربي الحديث، رسالة ماجستير للأستاذة في الجامعة الأمريكية، بيروت، 1947، ص 7.

³ مجلة الوحدة: التأصيل والتحديث في الشعر العربي، الرباط، العدد 82، يوليو 1991، ص 16.

⁴ أنطوان غطاس كرم، الرمزية في الأدب العربي الحديث، ص 7

والرمز من وجهة نظر "كارل يونغ" هو عبارة عن وسيلة فنية أو أداة دائمة الحركة كالحياة، فقيمتها تكمن في وظائفه وأغراضه، وإذا كان الرمز يمتاز باللامحدودية واللانهائية فكذلك أغراضه، فهي كثيرة ومتعددة من أبرزها:

- إن الرمز وسيلة تعبير عن روايا غامضة في النفس.
- إن الرمز إيحائي يعبر عن الأجواء الضبابية المبهمة.
- إن الرمز علاج ناجح للغة العاجزة عن الأداء.¹
- إن الرمز يطلق العنان للنفس حتى تنطوي على ذاتها لسبر غور بعيد يحررها من العامل المنطقي العلمي المتجمد.²

ج-الدرس المدقق للرمز: إن الدارس المدقق يلاحظ في ثنايا الصورة نفسها وهي ذات صبغة حسية في أكثر الأحيان، أنه توجد ظلال في المعنى تتحرك خلف النسيج الحسي لألفاظ اللغة ذاتها لتشير بقوة إلى وجود شيء معنوي أو مجرد متعدد أو منفرد، سيشير إليه الذهن وهو محرك لخليط الفكر. وتؤول إليه كثير من وجوه التأويل المجازية في مجمل الأبيات الشعرية، والقصيدة كلها.³

وخلاصة القول أن الرمز له قيمته الأدبية والفنية، غير أنه رغم كل ما حظي به من أسبقيات إلا أن هناك خطرا يهدده في قيمته يتمثل "استعمال الرمز بشكل ميكانيكي فيلحق به مدى التقليد ويغني بذلك عن الابتكار والإبداع، وهذا ما وقع فيه شعرنا، افتجد الشاعر له روائعه غير أنك تأسف حين تجده مقلدا، فلم يعد إلى حقيقة الرمز في مثاليته، إنما نقلها مقلدا فأنت جامدة باهتة مبتذلة وهذا ما ألم ببعض شعرنا الحديث.⁴

¹ المرجع السابق، ص7

² محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1987، ص121.

³ عثمان حشلاف: الرمز ودلالته في شعر المغرب العربي المعاصر، منشورات التين الجاحظية، ط2، 2000، ص8

⁴ أنطوان غطاس كرم، الرمز في الأدب العربي الحديث، ص9

II- في الرمزية: نشأة ومفهوماً وتطوراً وخصائصاً

1- مفهوم المذهب الرمزي:

الرمزية مذهب في ظهر كرد فعل على الإسراف الرومانسي في استخدام اللغة البسيطة، ليجعل من الغموض والإيحاء وسيلته في التعبير.

"قامت الحركة الرمزية في وقت كانت فيه الحركة العلمية الوضعية هي السائدة، وكانت هذه الحركة تخضع كل الموجودات للحس والمنطق ولا تؤمن إلا بالظواهر المادية، وكانت تعتقد أنها بإمكانها الوصول إلى حقائق الأشياء بوسائلها التجريبية وبالعقل الواعي، وفي وقت طغت فيه المادية أيضا طغيانا كاد يقضي على كل تطلعات الإنسان الروحية".¹

فالطريقة في الأداء الأدبي هنا تعتمد على الإيحاء بالأفكار والصور والأحاسيس وإثارتها بدل تسويتها ووصفها، وهي بمثلها تناقض الواقعية.

ترعرعت الرمزية في ظل الفلسفة المثالية كرد على النزعة المادية وتفسيرها الجبري للحياة.

وتعتبر الرمزية مصدر صيغ من الرمز للدلالة على مذهب فلسفي أو أدبي، يقول "سانت أنطوان": "الرمزية بمعناها الدقيق طريقة أدبية تمتاز بكثرة مؤلفات ذات معنيين: أعني بذلك أن رمزيتها تعتمد على القصة الأسطورية أو الجاز أو الاستعارة، وبصفة عامة حقيقة تتميز برد فعل على حقيقة سابقة، كان الشعراء فيها مهتمين بإصابة المعنى وتدقيقه مع مراعاة الواقع، وهكذا اتجه الفن نحو الحلم والأسطورة ليأخذ منها مواضيعه، واجتهد أهله أن يعطوا مؤلفاتهم معنى موعلا في البعد، وذلك بإستيحائهم لمعانيهم من الأفكار الفلسفية والدينية".²

ولقد عرّف "ستيفان مالارمي" الرمزية بقوله: "بأنها استحضار الغاية قليلا إلى أن تعلن الحالة أو التجاوب، ولكنه أضاف أن هذه الحالة يجب أن تستخلص بواسطة حل تناوبي للطلاسم".³

¹ تسعديت آيت حمودي، أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم، ص 13

² موهوب مصطفىاوي: الرمزية عند الباحثي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1981، ص 138.

³ نسيب شاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر الاتباعية الرومانسية، الواقعة الرمزية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1984، ص 460.

وقد عرفت الرمزية أنها تعبير عن الاختلاجات النفسية الدقيقة وعن الانفعالات اللاشعورية العميقة التي هي أقرب إلى الدلالة اللغوية النفسية وأقوى وسائل الإيحاء.¹ وتؤكد التعريفات السابقة للرمزية على أنها مذهب أدبي يدعو إلى البحث عن الجمال داخل النفس.

والرمزية تعني الإيحاء أو التعبير غير المباشر عن أسرار النفس التي تعجز اللغة بشكلها العادي عن أدائها. وهي في مفهومها العام تستند إلى فكرتين أساسيتين:

أولها: مثالية أفلاطون التي كانت تنكر حقائق محسوسة، ولا ترى فيها غير صور رموز للحقائق المثالية البعيدة عن عالم الأشياء المحسوسة.²

ثانيها: الفكرة القائلة أن عقلنا الواعي مجال محدود، وذلك لأن خلف هذا العقل الواعي مجال واسع يعمل فيه اللاشعور، وهو الذي يحدد سلوكنا وتصرفاتنا في أكثر الأحيان.

فالرمزية بهذا المفهوم جاءت لتعبر عن عالم مثالي عن الحقيقة الجوهرية التي تختفي وراء العوارض المحسوسة.³

2- نشأة المذهب الرمزي:

"يرى النقاد أن الرمزية مذهب ظهر في بداياته كرد فعل للمذهب الرومانسي، وقد تجلّى في أعمال "بودلير" (1874م) الأديب الفرنسي الذي اشتهر بقصته "زهور الشر" وتأثر بالأديب الأمريكي "أدجار آلان بول"، فيشعر بودلير كما يرى النقاد مليء بالملاحم الرمزية، الأمر الذي جعل منه رائدا لكثير من الأتباع في هذا الطريق، وبعد وفاة بودلير تلقف "مالارمييه" (ت1898م) راية الرمزية ليتسلمها من بعده تلميذه "بول فاليري". فالرمزية إذن عرفت في فرنسا في أواخر القرن 19م.⁴

¹ تسعديت آيت حمودي، أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم، ص22

² محمد مندور: الأدب ومذاهبه، نخضة مصر، ط7، يناير 2008، ص108

³ تسعديت آيت حمودي، أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم، ص22.

⁴ فايز علي: الرمزية والرومانسية في الشعر العربي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، دط، 1999، ص86

"وكانت أعوام ما بين 1855 و1890 فترات تقارب النشاط في باريس على يد قوميات متعددة تعمل معا من خلال اللغة الفرنسية، وتوصلوا إلى نظرية وتقنية وصفية ارتبطت فيما بعد بمفهوم الرمزية، وهي الفترة التي اعتبرناها فترة ازدهار المذهب الرمزي، وهي مرحلة قيام المدرسة الأدبية"¹

"ولقد كان لانقسام (البرناس) دور في ظهور الرمزية، حيث انفصل عنها (فرلين) و (ملارميه) ليكون اتجاهها جديدا عرف بالرمزية، ولم يعرف اصطلاح (الرمزية) و (الرمز) إلا في عام 1885. حتى أن (فرلين) كان يكره هذه التسمية بعد ظهوره، وقد ورد هذا الاصطلاح الأول في مقالة كتبها الشاعر الفرنسي (جان موريس) ردا على الذين اتهموه وأمثاله بأنهم شعراء الانحلال والانحدار، وقد رد على هذه الاتهامات بقوله: أن الشعراء الذين يسمون بالمنحليين إنما يسعون للمفهوم الصافي والرمزي الأدبي في مفهوم قبل أي شيء آخر."²

ومن أشهر الشعراء الرمزيين (تريستانكوربير) و (لوتريامو) و (جوشاف نان) و(جول لافورج) و (البيير سامان) و (ندفر نسيس حميس) و (شارل موريس) و (بييرديشوزا).³

مجمل القول: أن المدرسة الرمزية ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر في مواقع مختلفة من أوروبا، فالاتجاهات كثيرة لكن الفكرة واحدة، والرمزية هي مذهب أدبي فلسفي جاء كرد فعل على الرومانسية والبرناسيين، واستمرت هذه الأخيرة حتى أوائل القرن العشرين.

3- تطور الرمزية:

جاءت الرمزية كرد فعل للمناهج السائدة في أوروبا- آنذاك - فاتهمت الواقعية بتعدي حدود الذوق أو بإفلاس المادة العلمية، ولكن المناوات الأدبية جاءت من الاتجاه نحو القطب الرومنطقي لهذا العالم المثالي من قبح الواقع وبشاعته.⁴

¹ فايز علي، الرمزية والرومانسية في الشعر العربي، ص 269

² عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، منشورات اتحاد كتاب العرب، دط، 1999، ص 86

³ تسعديت آيت حمودي، أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم، ص 21.

⁴ عبد الحميد جيدة: الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط 1، 1980، ص 124.

والرمزية حركة أدبية فنية ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر، وقد كانت ثورتها على المذاهب الأدبية صريحة، وكانت في مراحلها الأولى تدعى الانحطاطية، إذا اعتبرت هذه الحركة في بدايتها فلسفية أكثر منها أدبية. حيث انطوى الرمزيون على أنفسهم البائسة وعبروا عن حزنهم وهمومهم وحنينهم إلى عالم أفضل، ومع ذلك فقد مهدوا السبيل إلى الرمزية لتصبح فيما بعد عقيدة أدبية.¹

فقد انتشرت الرمزية في الو.م بفضل مجلة (شعر) التي أسسها "هاريتمونزو" عام 1912، وقد أسهمت هذه المجلة في نشر هذا الشعر وتذوقه وفهمه.²

وكذلك كان الحال في لبنان في مطلع الخمسينات مع ظهور مجلة (شعر) أيضا، وسطوع نجم شعراء مثل السياب والبياتي وبلند الحيدري، وسعدي يوسف وغيرهم في العراق، وخليل حاوي ويوسف الخال، وأدونيس وسواهم في لبنان.³

كانت آراء هؤلاء الشعراء في الفن والشعر متطابقة مع آراء كبار شعراء الرمزية ومنظريها في الغرب. وكان كل همهم أن يبدعوا شعرا عربيا يتطابق مع شعر كبار هذا المذهب في الغرب.⁴

ويكاد يكون مقررا أن أول شرارة رمزية كانت على يد الشاعر اللبناني الدكتور "أديب مظهر"، إذ سقطت بين يديه مجموعة من الشعر الفرنسي للشاعر "ألبر سامان" فقرأها قراءة إعجاب واستيعاب، وظهر أثرها جليا في قصيدته "نشيد السكون" التي نشرها في حدود سنة 1928م، ثم ما لبث أن اتبعها بطائفة من القصائد المماثلة تعتبر باكورة هذا الاتجاه في الشعر اللبناني، وأكاد أقول في الشعر العربي المعاصر.⁵

وكان من الطبيعي أن يلف الغموض نتاج شعراء يؤمنون، كما يؤكد مالارمييه أن الشعر هو التعبير باللغة البشرية، وقد أرجعت إلى إيقاعها الأساسي إيقاع المعنى الغامض لمظاهر الوجود.⁶

¹ عبد الحميد جيدة، الاتجاهات الجديد في الشعر العربي المعاصر، ص125.

² محمد العيد حمود: الحداثة في الشعر العربي المعاصر (بيانها ومظاهرها)، الشركة العالمية للكتابة، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص127.

³ المرجع نفسه، ص128.

⁴ المرجع نفسه، ص128.

⁵ محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، ص196.

⁶ محمد العيد حمود، الحداثة في الشعر العربي المعاصر، ص126.

والغموض على كل حال ليس خاصة ينفرد بها الشعر الحديث، إنما هو خاصية مشتركة بين القديم والحديث على السواء. وكل ما في الأمر أن الغموض قد صار ظاهرة واضحة في الشعر الجديد تدعونا إلى التأمل.

ويدافع النقاد المحدثون عن هذه الظاهرة بل ويذهب بعضهم إلى حد القول، أن الشعر هو الغموض. وتصبح ظاهرة الغموض في الشعر الحديث حسب هؤلاء دليلاً على أن هذا الشعر قد حاول التخلص من كل صفة ليست شعرية، والاقتراب من طبيعة الشعر الأصلية.¹ على أن الشعر يكون لغزاً على الدوام وهذا هو هدف الأدب كما يقول مالارميه.²

4- خصائص الرمزية:

من أهم خصائص الرمزية ما يأتي:

أ- الرمز: لجأ الرمزيون إلى الرمز للتعبير عن الأفكار والعواطف والرؤى، وهذا لأنه الوسيلة الوحيدة والقادرة على الكشف عن الانطباعات المرهفة والعالم الكامن خلف الواقع والحقيقة. والرمز في نظر الرمزيين هو:

- نوع من المعادل الموضوعي، وهو من طبيعة خارج التراث؛ أي أنه يشتق من الواقع الخارجي، ولكنه يختلف عن الطرائق التصويرية التقليدية، فالشاعر يتجنب معه عقد المماثلات بين طرفي الصورة، ويجعل الرمز وحدة يؤدي الدلالة أو الشيء المرموز إليه عن طريق النشاط الذهني للمتلقي.

- إيجاء بالحالة ولا يصرح بها، ويثير الصورة ثم يتركها تكتمل من تلقاء ذاتها كما تتسع الدوائر في الماء، وذلك عن طريق الفعالية الذهنية للمتلقي.³

- وسيلة قادرة على الإشعاع الطبقي كالأثار التشكيلية، ومن خلاله يصبح القارئ مشاركاً للمبدع في فنه.⁴

¹ محمد العيد حمود، الحداثة في الشعر العربي المعاصر، ص 126.

² المرجع نفسه، ص 126.

³ محمد أحمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، ص 148.

⁴ المرجع نفسه، ص 149.

ب- الغموض لا الوضوح ولا الإبهام: الغموض ليس التعمية وليس الإبهام بالعمق، وإنما هو حالة نفسية طبيعية كانت منذ البدء حين كانت النفس الأولى مفعمة بذاتها تنطلق منها وتقفل إليها ولم تستدل أو ترهن لضرورات العالم الخارجي، وقرائن الوضوح والإيضاح. فالغموض من خصائص الشعر فإذا نزح عنه الشاعر نزل إلى وطأة النشر.¹

هـ- الصورة لا الفكرة: الفكرة هي وسيلة للعالم الخارجي، وهي غير قادرة على التجديد والتجدد، وكل فكرة واعية ومصنفة بالنسبة للرمزي مادة تعطل صفاء الشعر، أما الصورة فهي أرقى من الفكرة، فهناك الصورة الواعية التشبيهية، وهناك الصورة المتولدة عن الاستعارة وهي أرقى نسبياً، أما الصورة المثلى التي من المفروض أن تكسو القصيدة منذ البداية حتى النهاية، فهي الصورة الإبداعية التي تستحضر غيب النفس والوجود. والصورة الرمزية تكون في الحالتين: إما مظهرًا مادياً مبتدعاً للتعبير عن حالة نفسية وإما حالة نفسية. فالشعر الرمزي هو الشعر الصوري الأفضل من الناحية النظرية.²

د- النغمية: يعتبر الرمزيون الموسيقى المثل الأعلى والوسيلة الأفضل للتعبير عن الغموض، فهي تبعث في النفس صوراً وأحوالاً، فتلك النغمية تخدر الوعي، ويرى بعض الرمزيين أن الحقيقة الفنية هي الحقيقة الوحيدة، المعبرة عن النفس، وفي الواقع هذه الحقيقة هي حالة ذاهلة، بل هي نغم يتناسب في النفس ثم يصير معنى. فالنغمية هي نقل لحالة اللاوعي وهي التي تبرم اليقين الفني، وتتجسد أيضاً في الوزن والقافية وطبيعة الصياغة والتقديم والتأخير، وتظل نغمية داخلية تكون في النفس.³

هـ- لغة الإحساس: يتكئ الرمزيون في صورههم على معطيات الحس كأدوات تعبيرية، كالألوان والأصوات واللمس والحركة والشم والذوق، ويرون في هذه المعطيات رمزا معبراً موحياً، والطبيعة عند الرمزيين تختلف عنها لدى الرومانسيين، إنها تتخاطب فيما بينها وتتراسل، وتؤلف لغة متشابكة لا يفهمها إلا الشعراء، والشاعر الرمزي ذو إحساس متوقد، يغرق في الطبيعة فيصبح مصوراً تلتقط عيناه الألوان والظلال والأشكال بل اللونيات الدقيقة، ثم يترجمها بمختلف صفاتها ودرجاتها ودلالاتها، وتشعره

¹ إيليا الحاوي: الرمزية والسريالية في الشعر الغربي والعربي، ص 119

² المرجع نفسه، ص 119

³ المرجع نفسه، ص 116.

مظاهر العالم الطبيعي بالتمثال مع العالم البشري والتخاطب معه، وكل معطيات الحواس تتشابه وتتخاطب وتتبادل وتتراسل، فالرماد يسكب، وللنجوم حفيف، والنهر يغني، والأنوار تهطل، ولكل شيء محسوس دلالة ومعنى.¹

و- الكلية والشمول والجمالية: الرمزية تنقل الحالة أو التجربة الشعرية في كليتها الأخيرة وشموليتها النهائية، وهي محاولة لإدراك أقصى غاية البلاغة والإبلاغ، لذلك كانت غايتها جمالية، فهي تتخذ الحقيقة كغاية بذاتها والحقيقة هي الأسمى والأكمل. فالرمزية حركة أفادت من الرومانسية الاتجاه الداخلي ومنحته الجمالية التعبيرية، ومن الكلاسيكية امتناعاً عن الهذيان والاهتداء بالعقل بعد أن ينصهر في ضمير التجربة.²

نستنتج من خلال هذه الجولة لأهم خصائص المذهب الرمزي في الغرب التي من خلالها اتضحت طبيعة وماهية هذا المذهب وأبعادها ونقاط تبيانه مع المذاهب الأخرى.

¹ محمد أحمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، ص142.

² إيليا الحاوي، الرمزية والسريالية في الشعر العربي والغربي، ص 120

الفصل الثاني

أنماط الرموز ودلالاته في الديوان

توطئة

أولاً: الرمز الطبيعي

ثانياً: الرمز الأسطوري

ثالثاً: الرمز الديني

رابعاً: رموز متنوعة

توطئة

إذا ما نظرنا إلى الحياة التي عاشها الشاعر محمود درويش لوجدناها مكللة بالمآسي والأحزان، فعندما أبصر نور الحياة كان الاستعمار البريطاني ييسط نفوذه ويجثم بكل قوة فوق وطنه فلسطين، ممتطيا وعد بلفور المشؤوم القاضي بتحويله إلى وطن قومي لليهود.¹

وهكذا قد نظر الغرب إلى البلد الأصيل والراقي الذي يعتبر ذا عراقة وحضارة، "فلسطين" نظرة سياسية تحمل أطماع غريبة تتوافق مع أهداف الحركة الصهيونية العالمية التي أوجدها غلاة المتطرفين اليهود. وما كان على الشعب الفلسطيني إلا مقاومة المشروع الاستيطاني الصهيوني المستبد الذي يستهدف الأرض والإنسان معا.²

فقد حاول الشعب الفلسطيني الدفاع عن أرضه فكريا وماديا ومعنويا وروحيا، سواء بالثورات والخروج إلى ساحات المعارك، وطرد العدو منها أو بأي وسيلة أخرى، فقد كان للعلم وسائل متعددة ومن بينها الشعر الذي عبر به الشاعر الفلسطيني عن آهاته وآلامه التي ساهم في إحداثها العدو اليهودي البائس.

كما أن الشعر لم يقتصر على مقاومة المستعمر، بل تناول أيضا مظاهر الحياة الاجتماعية والفكرية وندد بكل المظاهر السلبية، وكشف منذ وقت مبكر أن المعركة مع الأعداء ذات أبعاد حضارية وأنها أعمق من مجرد الرفض ورد الفعل، ودعا إلى التسلح بالعلم ومواكبة العصر، وتغيير الواقع وتحسينه وإصلاحه بما يخدم المجتمع.³

ومما لا شك فيه أن الشاعر محمود درويش قد سخر قلمه للتعبير عن أوجاع وطنه الحبيب، فقد كان شاعرا ذا روح وطنية، تميز بحبه لوطنه وأرض أجداده الأحباء، وكان يمتلئ غيظا وبيكيا دما وألما وحزنا على استغلال وطنه وهدر ثرواته أرضه الذي طغى عليه الاستعمار الصهيوني، فما كان للتعبير

¹ عمر يوسف قادري: التجربة الشعرية عند فدوى طوقان بين الشكل والمضمون، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت، ص22.

² المرجع نفسه، ص23.

³ المرجع نفسه، ص26.

عن وجعه سوى قلمه، وكان يستمد حبره من دموعه ودموع شعبه المظلوم، فقد صور كل صور الحزن والكآبة والظلم والأسى والهم والغم، وصور حالة الدهول الذي شهده شعبه من كل الجوانب.

كما أن الشاعر حشد سيلا من الألفاظ المعبرة، تنهج نهجا إيحائيا يكشف عن مضامينه من خلال صوغ لغوي لا مباشر، ناصع الوضوح مستساغ يشع مجاله من مجال الواقع والمعاناة التي توحى بالحصار والضيق، وعمل الشاعر على إحداث الهزة الشعورية لتوحى لنا بحالة الاحتناق التي يجيها هؤلاء المعتاقون، وصور لنا ظلمة العيش الضنكة التي يعيشها الشعب الفلسطيني وخاصة السجناء منهم.¹

إن شعر الشاعر هو عبارة عن مرآة عاكسة لما يحدث في واقعه المعيش، فالوسيلة الوحيدة لتجسيد هذا الفيض الفكري والمعنوي والخواطر التي تدور في فكره سوى وضعها في قالب لغوي تمثله القصيدة العربية، كما كان له أسلوب خاص يتميز به عن باقي الشعراء، ومن السمات التجديدية في أسلوبه أحيانا تراكم فيه ألفاظ قوية جامحة، وأحيانا يعمد إلى ألفاظ مستقاة من الواقع، وهذا ما جعله يصبغ شعره بسمة جديدة تسمى "الرمز" الذي هو استعمال الغموض والإيحاء وأخذ الألفاظ الدالة على الإيحاءات والإشارات؛ أي استخدم الشاعر معنى الرمز في أشعاره من أجل تلبية حاجيات متعددة. ومن بين الأسباب التي جعلت الشاعر محمود درويش يوظف الرمز ويستخدمه في أشعاره هي الهجمة الشرسة للاستعمار الصهيوني على أرض العروبة والفداء "فلسطين".

أمام كل هذه المعاناة الطويلة، غنى درويش آلام شعبه أشعارا ووظف الرمز بجميع أشكاله وألوانه لخدمة إبداعاته ونهل من مختلف مصادر الرمز ومنابعه المتعددة.²

وفيما سيأتي سوف نعرض أهم أنماط الرمز المختلفة التي وظفها الشاعر محمود درويش في شعره

ومنها:

¹ المرجع السابق، ص 45.

² المرجع نفسه، ص 124-125.

أولاً: الرمز الطبيعي:

لقد استعمل الشاعر محمود درويش في شعره ألفاظاً طبيعيةً بصفة كبيرة كرمز لدلالات مختلفة، لتكون أبلغ في التعبير، يقول الشاعر الفرنسي "بودلير" "الطبيعة معبد ذو دعائم حية وأحياناً تنطق هذه الدعائم ولكنها لا تفصح...".¹

- والشاعر محمود درويش استعمل المصادر التابعة من الذات، وما يتعلق منها بعلاقات الإنسان بمخلوقات الله الأخرى كالحيوانات والطيور وغيرها، وكذلك مظاهر الطبيعة وكواكبها كالمطر والبرق والرعد والرياح والقمر والشمس وغيرها.

1. الحيوانات: لقد كان للحيوان مكانة مميزة في شعر محمود درويش، بحيث وظف مجموعة مختلفة من الحيوانات كان منها: الحصان، الخيل، الأفاعي، وغيرها من الحيوانات، التي حاول تجسيدها في شعره من أجل التعبير عن الحالة المأساوية التي تعيشها البلاد.

أ- الأفاعي: استخدم الشاعر محمود درويش رمز الأفاعي للدلالة على العدو الغاشم الذي دخل على أرضه كالأفاعي السامة التي تلد بسمها في جسم الشعب الفلسطيني. ويظهر ذلك في قصيدته "وشم العبيد" بحيث يقول:

في ذات يوم.. أحسن العزف

على ناي الجذوع الهاوية

أنوم الأفعى

ولأرمي نابها في ناحية

فتلتقي في رقصة جديدة... جديدة

إفريقيا... وآسيه!²

¹ محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار تحفة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1997، ص395.

² محمود درويش: الأعمال الأولى، عاشق من فلسطين، رياض الريس للكتب والنشر، ط1، 2005، ص119.

- في الأسطر السابقة استخدم الشاعر الوشم، دلالة على الأثر الذي لا ينسى ولا يمحي من الجسد، والأثر هو أثر الحروب والدمار التي تعيشها البلاد، كما استخدم الأفعى كرمز للغدر، كغدر الأصدقاء الذين يطعنوننا في ظهورنا في وقت نرتاح إليهم ونطمئن لصدقاتهم فيأتي الغدر منهم، كما أن الأفعى لفظة استعملت للدلالة على زحف الاستعمار وتسلقه الأرض الطيبة ألا وهي فلسطين، كما دخلوا على أرضها ليرموا بسمها على الشعب الفلسطيني.

ب- **الوحش**: لم يجد محمود درويش أقوى وأروع دلالة ليرمز إلى العدو والخائن بالوحش الذي هو معروف بالبطش والاعتصاب، لذا فقد مثل المستعمر بذلك الرمز للدلالة على قوته وجبروته في ظلمه لدى الشعب الفلسطيني وهدره لحقوق الإنسانية. وفي ذلك يقول في قصيدة "شهير الأغبية":

نصبوا الصليب على الجدار

فكوا السلاسل عن يدي

والسوط مروحة، ودقات النعال

لحن يصفر: سيدي!

ويقول للموتى: حذار!

- يا أنت!

قال نباح وحش

أعطيك دريك لو سجدت

أما عرشي سجدتين!¹

ج- **الديدان**: من الألفاظ التي استعملها محمود درويش لفظة الديدان، التي رمز بها إلى الأعداء تحقيرا لهم، وقال بأن إمكان الاحتلال أن يأكلوا لحم الفلسطينيين في حال توقفهم عن المقاومة والنضال والتصدي للاحتلال، كما شبه الاحتلال ببيض النمل ليحقر من شأنهم، فهم لا يرتقون إلى الجوارح

¹المصدر السابق، ص111.

المفترسة فهي لا تلد النسور، أما النسور هنا فهم أطفال الحجارة، وأهل الوطن، أهل الحق. فنجده يقول في قصيدة "عاشق من فلسطين":

حدود الشام أزرعها

قصائد تطلق العقبان!

وباسمك صحت بالأعداء:

كلي لحمي إذا ما نمت يا ديدان

فبيض النمل لا يلد النسور.¹

2. الطيور: لقد نهل الشاعر "محمود درويش" من رموز الحيوانات، رغبة في إحياء الطبيعة، وتجسيدها لكل معاني الألم والحزن وغيرها، ومن هاته الطيور:

أ- طائر السنونو: لقد نظم الشاعر قصائد كثيرة تغنى فيها بالوطن، وذكر معاناته، فكلامه عن وطنه كان أغنية، ولكنها لم تسلم من الشقاء، وقد رمز إليها بطائر السنونو، وهو طائر يهاجر إلى الأماكن الدافئة، وهنا يرمز الشاعر إلى فقدان الوطن وغيابه بسبب الطيران السريع لهذا الطائر الذي يرمز إلى هجرة اللاجئين، وسبب هذه الهجرة هو "العتبة الخريفية" التي رمز بها إلى الاحتلال وتهجير الفلسطينيين الذين أرغموا على ترك وطنهم، كما عبر الشاعر عن الحزن والألم نتيجة اللجوء والضياع بانكسار المرايا. يقول في هذا الشأن في قصيدته "عاشق من فلسطين":

كلامك كان أغنية

وكنت أحاول الإنشاد

ولكن الشقاء أحاط بالشفقة الربيعية

كلامك.. كالسنونو طار من بيتي

فهاجر باب منزلنا، وعتبتنا الخريفية

وراءك، حيث شاء الشوق..

¹المصدر السابق ، ص94/93.

وانكسرت مريانا

فصار الحزن ألفين

وملمنا شظايا الصوت!¹

ب- الحمام: عبر الشاعر عن السلام في هذه المقطوعة من خلال إشارته إلى الأسير والأغاني التي يرددتها خلف قضبان السجن، داعياً إلى الصفح والغفران عن ذنب لم يرتكبه، وإلى المناديل البيضاء وهديل الحمام. نجده يقول في قصيدته "أغاني الأسير":

ملوّحة، يا مناديل حبي

عليك السلام!

تقولين أكثر مما يقول

هديل الحمام

وأكثر من دمعة

خلف جفن... نيام

على حلم هارب!²

ج- العصافير: في قصيدته "دعوة للتذكّار"، استخدم الشاعر "العصافير" دلالة على الهجرة، بحيث شكّا فقدان ذاكرته التي كانت مليئة بالسعادة والسرور، كيف أصبحت مشوشة ضائعة، فهو يفتقد لمدينته كيف كانت مرحة ونشيطة، والآن يتأسف على دمارها، ولكن رغم هذا كله ظلّ صامداً ولم ييأس، لكن البعض الآخر تخلو عن وطنهم وهاجروا إلى أوروبا وأمريكا بحثاً عن السكينة، ودلالة الهجرة هنا العصافير التي رمز بها إلى المهاجرين. يقول:

مرّي بذاكرتي

فأسواق المدينة

مرّت

¹ محمود درويش، عاشق من فلسطين، ص 87/88.

² المصدر نفسه، ص 101.

وباب المطعم الشتوي

مرّ

وقهوة الأمس السخينة

مرّت

وذاكرتي تنقرها

العصافير المهاجرة الحزينة

لم تنس شيئاً غير وجهك.¹

د- الغربان: ذكر الشاعر غابة الزيتون التي يقصد بها الأرض الطيبة التي كانت في أمن واستقرار، وعندما سكنها الغربان خربت وتشردت، ودلالة الغربان هنا هي العدو التي تنهش جسد الفريسة دون رحمة أو شفقة، كما أن الغربان لفظ مقرون بالمحتل الصهيوني الذي هو كالغراب ينقر في أجسام الفلسطينيين صغيرا كان أو كبيرا. فكان يأمل أن يعود يوما إلى الديار، ولربما تمطر السماء، وتعود الحبيبة سالمة مستريحة. بحيث يقول في قصيدة "صوت من الغابة":

من غابة الزيتون

جاء الصدى...

وكنت مصلوبا على النار!

أقول للغربان: لا تنهشي

فرّما أرجع للدار

وربما تشقي السماء.²

¹ محمود درويش، عاشق من فلسطين، ص144.

² المصدر نفسه، ص91.

3. **المظاهر الطبيعية:** لقد استوحى الشاعر محمود درويش في شعره مظاهر طبيعية كالشمس والريح والمطر، وكانت لها دلالات متعددة منها: الحرية، الثورة والتطهير وغيرها.
أ- الغيوم: وظف درويش لفظ "الغيوم"، دلالة على الفرح والنماء وولادة حياة جديدة، ولكن الغيمات هنا فيها ماء ولكن هذا الماء لم ينزل، أي أن الغيمات أيضا وكأنها تبخل الأرض وتحبس عنها المطر، والأرض بحاجة ماسة لها. يقول في قصيدة "مطر":

ناري

وخمس زنابق شمعية في المزهريّة

وعزاؤنا الموروث

في الغيمات ماء

والأرض تعطش والسماء.¹

ب- الأرض: استخدم الشاعر لفظة "الأرض"، للدلالة على أنها الأم التي تلد من جديد، وأنه مهما قتلوا أولادها فسوف تلد أبطالا جدد يدافعون عنها، كما ذكر الربيع كدلالة عن الجّدة والشيء الجميل والتفاؤل. كما ذكر الفجر وهو أيضا دلالة على البدايات. وفي نفس القصيدة السابقة يقول:

لنقل مع الأجداد خير!

هذا مخاض الأرض: خير!

تضع الوليد غدا... ربيعا أخضرا!

كعيون سائحة أطلت ذات فجر!²

ج- الورود: رمز الشاعر إلى الجمال الحساس بالوردة التي يجب أن تحمي من الأذى، وهنا يبدو رمزا منفتحا يتداخل فيه أكثر من جمال (جمال المرأة/جمال الأرض [فلسطين]). ويقصد بالجمال الحساس جمال أرضه قبل دخول الصهيون عليها، كيف كانت خلابة جذابة مثلها مثل جمال المرأة، كما كانوا

¹المصدر السابق، ص123.

²المصدر نفسه، ص124.

يخافون عليها مثل خوفهم على الوردة في حساسيتها، حين تمر رياح يشرعون في حمل المناديل خوفا
عليها من التلف. حيث يقول في قصيدته "قصائد عن حب قديم":

على الأنقاض وردتنا

ووجهانا على الرمل

إذا مرت رياح الصيف

أشرعنا المناديا

على مهل... على مهل

وغبنا طي أغنيتين، كالأسرى

نراوغ قطرة الطلّ

تعالى مرة في البال

يا أختاه!¹

د- الليل: هذا النوع من الرموز يكثر توظيفه في الشعر العربي الحديث، وتتنوع دلالاته حسب السياق، والليل هنا يرمز إلى مساحة العودة إلى الذات، حيث الحقائق كما هي صريحة غير مشوشة، ويقصد بالعودة إلى الذات التحدث بما هو موجود في القلب وبشكل صريح لا كذب فيه، وهذه الحقيقة لا بد من أنها في معظم الحال تحميه من الذل. ويقول في نفس القصيدة:

في أواخر الليل

تعريني من الألوان والظل

وتحميني من الذل!²

ه- شجر الإكليل: انتقل الشاعر من إكليل الشوك المنقوش بالدم والندى إلى إكليل غار وهو رمزا للانتصار، وهو إلى ذلك ليس أول حامل إكليل شوك، فالصهاينة هنا أعطوا له الاختيار بين أن يسجد لهم سجدين مقابل السير على طريقه بحرية وبين اعتلاء خشب الصليب، فأبى الذل والإهانة

¹المصدر السابق، ص145.

²المصدر نفسه، ص145/146.

واختار اعتلاء الخشب، ورأى أن الشوك المنقوش على جبينه بالدم والندى يعتبر رمزا للانتصار. وذلك في قوله "شهيد الأغنية":

تعتلي خشب الصليب
شهيد أغنية... وشمس!
ما كنت أول حامل إكليل شوك
لأقول للسمرء: أبكي
يا من أحبك مثل إيماني
ولاسمك في فمي المغموس
بالعطش المغفر بالغبار
طعم النبيذ إذا نعتق في الجرار
ما كنت أول حامل إكليل شوك
لأقول: أبكي
فعسى صليبي سهوة
والشوك فوق جبيني المنقوش
بالدم والندى
إكليل غار!¹

و- الشمس: "الشمس" عند درويش أخذت موضعا لعدة دلالات مختلفة لا يمكن أن نتصورها، فقد وظفها الشاعر لكي تكون ذات تعبير أكثر عن التبليغ والإيحاء. استحضرها في قصيدة "أهديها غزالا" للدلالة على الحرية التي بات طعمها حلوا ينتظره مئات من الشعب الفلسطيني، لأن الشمس هي مصدر النور والضيء التي تمدها إلى كوكب آخر. بحيث يقول:

سلاما يا وشاح الشمس، يا منديل جنتنا

¹ محمود درويش، عاشق من فلسطين، ص112.

ويا قسم المحبة في أغانيها!

سلاما يا ربيعا راحلا في الجفن! يا عسلا بغصتنا

ويا سهر التفاؤل في أمانينا

لخضرة أعين الأطفال... تسبح ضوء رايتنا!¹

- وفي قصيدته "خواطر في شارع" وظف الشاعر لفظة "الشمس" كرمز للميلاد والحرية، وذلك لأنها تولد من العتمة، وتنورها كل صباح بإشراقها. وهنا ذكر شروق الشمس وغروبها، وهي دلالة على استمرار الحياة والروتين الذي يعيشه دون تغير الوضع، الظلام يعم السكون، ولأنه لم يجد من أين يعبر تحجرت خطواته في مكانها، ورغم كل هذا إلا أنه متفائل بغد مشرق ودليل ذلك في قوله [والحمام مازال يرمز إلى السلام]. يقول في هذا الشأن:

أتسلق الأشجار أحيانا

وأحيانا أجدف في الرغام

والشمس تشرق ثم تغرب.. والظلام

يعلو ويهبط والحمام

مازال يرمز إلى السلام!²

ز- الكوكب: اعتبر الشاعر الكوكب رمزا لأحاسيسه، حيث أخرج عاطفة الحب التي تملكته من خير الظل إلى الضوء، فرمز لها بالكوكب، وجعل الكوكب يلازمه يسير على أنامله، وكلما التقى محبوبته شاركها وشرب معها رحيق الحياة الطاهرة لتنمو، إذ رأى الشاعر عيون محبوبته كأن الكوكب جمالها، وحين ذهبت المحبوبة ظل شاهدا طالعا وناطقا بوجودها ودليلا على مكانتها في القلب، وإذا نسيته فإنه لا ينساها، لأنه لو حاول أن يفعل ذلك لحطّ ذلك الكوكب على يده يذكر بها ويرسمها في كيانه، يقول في قصيدة "قصائد عن حب قديم":

¹ المصدر السابق، ص110.

² المصدر نفسه، ص130.

ترجل، مرة، كوكب
وسار على أناملها... ولم يتعب
وحين رشفت عن شفتيك ماء التوت
أقبل، عندها، يشرب
وحين كتبت عن عينيك
نقط كل ما أكتب
وشاركنا وسادتنا... وقهوتنا
وحين ذهبت... لم يذهب
لعلّي صرت منسيا لديك
كنغمة في الريح نازلة إلى المغرب..
ولكني إذا حاولت لن أنساك
حطّ على يدي كوكب.¹

ح-الرياح: وظف محمود درويش لفظ الريح للدلالة على العدو، لأن الرياح القوية تحرب وتدمر كل شيء، كما أنها تجرف كل ما يأتي في طريقها، بمعنى أن هذه الرياح جرفت أبناء البلد إلى بعيد، لكن الشاعر يؤكد عودته إلى وطنه والدفاع عنه. يقول في قصيدة "في انتظار العائدين":

يا أمانا انتظري أمام الباب، إن عائدون
هذا زمان لا كما يتخيلون
بمشيئة الملاح تجري الريح...
والتيار يغلبه السفين!²

- وفي قصيدة "عاشق من فلسطين" استخدم الشاعر لفظة "الريح" كرمز للضياع، وهذه القصيدة تعكس عشق الشاعر لوطنه، فهو يتحدث فيها عن المنفى والعودة، ويستهل قصيدته في تغزله

¹ المصدر السابق، ص 148-149.

² المصدر نفسه، ص 122.

بمحبوبته "الوطن"، فعيونها أي ذكراها شوكة في قلبه تسبب له الألم، لاسيما عندما يتذكر أحداث النكبة، وما قام به المحتلون من ممارسات وحشية ضد الفلسطينيين، ويريد الشاعر أن يحمي هذا الوطن من الريح، أي من الضياع. كما شبه هذا الوطن بالسيف الذي يريد أن يغمده بالمقاومة باعتبارها الغمد الذي يحمي الوطن من المحتلين، فالمقاومة هي التي تضيء لنا نور الحرية. ويتذكر الشاعر نفسه والوطن قبل النكبة، فقد كان هو والمحبوقة خلف الباب، والباب هنا هو باب منزله القديم، وهو الحد الفاصل بين الداخل: الوطن، والخارج: المنفى، الذي هو بداية التشرذم والضياع، وهو في الوقت نفسه باب العودة. بحيث يقول:

عيونك شوكة في القلب

توجعني... وأعيدها

وأحميها من الريح

وأغمدها وراء الليل والأوجاع... أغمدها

فيشعل جرحها ضوء المصابيح

ويجعل حاضري غدها

أعز عليّ من روحي

وأنسى، بعد حين، في لقاء العين بالعين

بأن مرة كنا وراء، الباب، اثنين!¹

ط- الجبال: يتحدث الشاعر هنا عن الجبال، لكن هذه الجبال مزروعة بالشوك، ويرى محبوبته "فلسطين" فيه، بحيث يعبر جبل الشوك عن الألم والصعاب أثناء رحلة التهجير راعية، ولكنها بلا أغنام؛ أي بلا أهل ولا مناضلين. حيث يقول في نفس القصيدة السابقة:

رأيتك في جبال الشوك

راعية بلا أغنام

¹ محمود درويش، عاشق من فلسطين، ص 87.

مطاردة، وفي الأطلال.¹

ي- الماء والقمح: يرى محمود درويش محبوبته في حوايي الماء والقمح، وذلك للتأكيد على أساسيات حياة الفلسطيني البسيطة التي تعتمد على الماء والخبز، كما رأى المحبوبة محطمة بسبب ممارسات الاحتلال، فأصبحت خادمة للعدو، أما الشعاع فرمز به إلى الأمل والتفاؤل وبداية الحرية. ويعتبر الشاعر الوطن بمثابة الرئة للإنسان، فهو أساس حياته، هذا الوطن هو كالماء أي المقاومة التي ستطفئ نار الاحتلال. كما رمز والنار والموقد والشوارع والزرائب لضرورة استمرار المقاومة، وعدم الاستسلام للعدو. وفي قوله (دم الشمس) فالشمس رمز الحرية، ولكن هذه الحرية حمراء بلون الدم للتأكيد على أن الحرية مقرونة بالتضحيات والاستشهاد في سبيل الوطن. بحيث يقول في نفس القصيدة:

رأيتك في حوايي الماء والقمح محطمة

رأيتك في شعاع الدمع والجرح

وأنت الرنة الأخرى بصدري...

أنت الصوت في شفتي...

وأنت الماء، أنت النار!

رأيتك عند باب الكهف... عند الدار

معلقة على حبل الغسيل ثياب أيتامك

رأيتك في المواقد، في الشوارع..

في الزرائب... في دم الشمس

رأيتك في أغاني اليتيم والبؤس!²

ك- الأعاصير: رغم الأحزان والهموم التي يعانيتها الفلسطيني إلا أننا نجد شاعرنا "محمود درويش" متفائل دائماً، فهو يقول بأن رغم ما يفعله المحتل (وقد رمز للمحتل بالأعاصير)، من دمار وخراب إلا أن بيوتنا مفتوحة والشوارع مملوءة، فهو كثير الثقة بهذه الأرض التي عبر عليها من خلال لفظة القمح

¹ المصدر السابق، ص 89.

² المصدر نفسه، ص 90.

التي تدل على النماء والخصب؛ أي أن هذه الأرض وافية ودائمة العطاء. يقول في قصيدته "عاشق من فلسطين":

فتحت الباب والشباك في ليل الأعاصير

على قمر تصلب في ليالينا

وقلت ليلتي: دوري!

وراء الليل والسور...

قلي وعد مع الكلمات والنور

وأنت حديقتي العذراء...

ما دامت أغانينا

سيوف حين نشرعها

وأنت وافية كالقمح...¹

ل- العاصفة: استخدم محمود درويش لفظة "عاصفة" للدلالة على المحتل، فهو يتحدث ويقول بأنك يا أرض قد بلغت من العمر ما يكفي للنضج والبلوغ، فارتاحي يا حبيبتى ودعي الهم لرجال الوطن يدافعون عنها ويدافعون، فهذه الأرض أنجبت ولا زالت تنجب الأبطال. يقول في قصيدة "ولادة":

يا أمي

جاوزت العشرين

فدعي الهم، ونامي

إن قصفت عاصفة

في تشرين...

ثالثهم...

فجذور التين

¹المصدر السابق، ص91.

راسخة في الصخر... في الطين

تعطيك غصون أخرى

وغصون.¹

م- البحر: استخدم الشاعر لفظة "البحر" في شعره دلالة على المآسي والأحزان التي يعانيها الشعب الفلسطيني في بحر مصطدم تتلاطمهم الأمواج العاتية. وفي ذلك يقول في قصيدة "لوحة على الأفق":

يود القلب لو يحبوا إليك

على حصى الحزن

يود الثغر لو يمتص

عن شفثيك...

ملح البحر، والزمن.²

ن- الصخر: وردت لفظة "الصخر" في شعر محمود درويش دلالة على قوة وصلابة شعبها المكافح والصبور، بمعنى أن الشعب الفلسطيني مهما دمره المستعمر، فإنه يضل صامدا ومتحجرا ولن يضعف أبدا. يقول في قصيدته "في انتظار العائدين":

خطوات أحبابي، أنين الصخر تحب يد الحديد

وأنا مع الأمطار ساهد

عبثا أحدف في البعيد

سأظل فوق الصخر.. تحت الصخر.. صامد.³

- نستخلص من الرمز الطبيعي الذي وظفه الشاعر "محمود درويش" في شعره رموز الحيوانات كالحصان الذي هو دلالة على الثورة وانطلاقتها، وكذا رمز إلى الأفاعي والثعبان والوحش، دلالة على العدو الصهيوني الذي أصبح كابوسا حلا ببلده ليلا نهارا، وصار ينهش في أرضه، ويهدر دماء شعبه.

¹المصدر السابق، ص105.

²المصدر نفسه، ص105.

³المصدر نفسه، ص122.

وحطّ الشاعر مرة أخرى بقلمه الشعري على كل أنواع الطيور، وقد رمز بها إلى كل أبطال الثورة، وأطفال فلسطين اليتامى، ومن ناحية أخرى رمز بها إلى الجيش الإسرائيلي البائس. وراح يتغنى في شعره مستقاة زهوره من مظاهر الطبيعة كالريح الذي رمز به للثورة، وأخرى للعدو، كما اتخذ لفظه المطر دلالة على تطهير الأرض من الفساد الذي حلّ بها، والشمس دلالة على الحرية... وغيرها، فقد كان الرمز الطبيعي حاضرا بآتم معنى الكلمة في أشعاره.

ثانيا: الرمز الأسطوري:

إن أجمل الأشياء وأنبى العواطف وأعظم المواقف لا تشكل أثرا فنيا إذ نقلت نقلا، فإذا بمرتنا منقولة لم تكن عظمتها متولدة من فنيته، بل من خصائصها التي أمكن نقلها، بل إن أغرب الأحلام لا تشكل أثرا فنيا إذ نقل حرفيا، لأن نقله الحرفي يقيه أسير حالته الانعكاسية، ولا بد أن يتجاوز هذه الحالة الخاصة في محاورة العالم كي يكتسب الحضور الفني.¹

فالأسطورة كما يعرفها "أنس داود" بقوله: "مجموعة من الحكايات الطريفة المتوارثة من أقدم العهود، الحافلة بضروب من الخوارق والمعجزات التي يختلط فيها الخيال بالواقع".²

والأسطورة هي أكثر الغوامض إثارة يلجأ إليها الشعراء لتحقيق أحلامهم، والتعبير عن تطلعاتهم الفنية والفكرية، وإثراء تجاربهم الشعرية؛ لأن "اللغة في استعمالها اليومي المعتاد تفقد بالضرورة تأثيرها وتشعب نضارتها، ومن هنا قد يكون استعمال الرمز الأسطوري، والأسطورة للرمز بمثابة مناجاة للأداء اللغوي يستبصر فيه صاحبه بواسطة التشكيلات الرمزية إمكانات خلق لغة تتعدى وتتجاوز اللغة نفسها"³

ولقد وظف الشاعر الفلسطيني محمود درويش عددا من الأساطير تنتمي إلى التراث القومي (العربي) والإنساني بهدف تجسيد واقعه المأساوي منها:

¹ مرسي الصباغ: القصص الشعبي العربي، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية، دط، دت، ص15.

² أنس داود: الأسطورة في الشعر المعاصر، مكتبة عن الشمس، القاهرة، دط، 1975، ص19.

³ جمال مباركي: التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، إصدارات رابطة الإبداع الثقافية، دار هومة الجزائر، دط، دت، ص207.

1- أسطورة برومثيوس: من بين النصوص الأسطورية التي كان لها حضور في الشعر العربي. أسطورة

"برومثيوس" التي تحمل معاني الفداء والمقاومة. يقول في قصيدة "عاشق من فلسطين":

حملتك زاد أسفاري

وباسمك، صحت في الوديان

خيول الروم!..أعرفها

وإن يتبدل الميدان!

خذوا حذرا...

من البرق الذي صكته أغنيتي على الصوان

أنا زين الشباب، وفارس الفرسان

أنا ومحطم الأوثان

حدود الشام أزرعها

قصائد تطلق العقبان!

وباسمك صحت بالأعداء

كلي لحمي إذا ما نمت يا ديدان

فبيض النمل لا يلد النسور

وبيضة الأفعى...

يخبئ قشرها ثعبان!¹

- هذا المقطع يتنفس فيه الشاعر في أجواء أسطورية برومثيوسية، وهي أسطورة إغريقية، ملخصها أن

سلطة الآلهة على البشر والعبث بمصائرهم، إنما أتتهم من شعلة النار المقدسة التي استأثر بها هؤلاء

الآلهة وحرموها بني الإنسان، حتى جاء الفتى "برومثيوس" الذي غامر بحياته في عالم الآلهة، وسرق

منهم تلك الشعلة وأهداها إلى بني جنسه من البشر، كي يعتمدوا عليها في الدفاع عن أنفسهم، وقد

¹ محمود درويش، عاشق من فلسطين، ص93.

تفطن الآلهة لهذا الفعل المثير، ولم يعد في استطاعتهم استرداد تلك الشعلة بعدما ذاع خبرها وانتشر بين الناس، فقرر إله الحرب الجبار "جوبتير" بأمر من "زوس" معاقبة الفتى "برومثيوس"، فشد وثاقه إلى صخرة بجبال "القوقاز" وراح يسلط عليه نسرا ينهش كبده، فلا تكاد كبده تفي حتى تتجدد، ليظل "برومثيوس" في العذاب المقيم.¹ وصفة التشابه أو العلاقة التي تربط هذه الأسطورة بالأبيات السالفة هي أن شاعرنا (برومثيوس المعاصر) قد وقف صامداً في وجه العدو وأخذ يحتقرهم حتى أنه أطلق عليهم لقب الديدان، كما شبه الاحتلال ببيض النمل ليخفض من شأنهم، فهم لا يرتقون إلى الجوارح المفترسة؛ أي أن محمود درويش ظلّ صامداً أمام الصهيون من أجل حماية أرضه.

- كذلك في قصيدة "تحدّ" نجد حضوراً لأسطورة برومثيوس. بحيث يقول:

شدوا وثاقي

وامنعوا عني الدفاتر

والسجائر

وضعوا التراب على فمي

فالشعر دم القلب...

ملح الخبز...

ماء العين

يكتب الأظافر

والمحاجر

والخناجر

سأقولها

في غرفة التوقيف

في الحمام...

¹ جمال مباركي: التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، ص 221.

في الإسطبل...

تحت السوط...¹

- إذا كان برومثيوس الأسطوري قد شدّ وثاقه إلى صخرة بجمال القوقاز، وراح إله الحرب يسلط عليه سرا ينهش كبده، فبقّي في العذاب المقيم، لكنه لم يستسلم، فشاعرنا فعل مثلما فعل برومثيوس، رغم أنه مقيد ومحجوز، إلا أنه يتحدى عدوه من أجل تغيير الواقع الآفناذي يعيشه، ومنح السعادة للآخرين.

- كما تجلت أسطورة برومثيوس في قصيدة "صوت من الغابة" يقول:

من غابة الزيتون

جاء الصدى...

وكنت مصلوبا على نار!

أقول للغربان، لا تنهشي

فرما أرجع للدار

ورما تشقى السماء.²

- هذا المقطع الشعري يتنفس فيه الشاعر أيضا في أجواء أسطورية برومثيوسية استوحاها لي جعلها إستراتيجية من إستراتيجيات الكتابة الشعرية تنسجم مع مقصدية الشاعر من النص، ومن ثم جاء هذا النص يحمل ملامح أسطورية في تضاعيفه، حيث يمتص الشاعر من أسطورة برومثيوس دلالة التضحية والمعاناة من أجل خلاص الحبيبة، فتعرض بسبب ذلك إلى العذاب المقيم، فشاعرنا تعرض لأشد أنواع العذاب حتى أنه علق مثل الصليب من أجل حماية أرضه.

- كذلك في قصيدة "شهيد الأغنية" نلتمس شيئا من أسطورة برومثيوس. يقول فيها:

نصبوا الصليب على الجدار

فكوا السلاسل عن يدي

¹ محمود درويش، عاشق من فلسطين، ص132.

² المصدر نفسه، ص120.

والسوط مروحة، ودقات النعال

لحن يصفر: سيدي!

ويقول للموتى: حذار!

يا أنت!

قال نباح وحش

أعطيك دربك لو سجدت

أمام عرشي سجدتين!

ولثمت كفي، في حياء، مرتين

أو...

تعتلي خشب الصليب.¹

- بما أن أسطورة برومثيروس تحمل معاني الفداء والمقاومة، وتحمل العذاب من أجل إسعاد الآخرين وخلاصهم، فمحمود درويش رغم الإهانة والعذاب الذي كان يعيشه، إلا أنه يأبى الخضوع والاستسلام واحتمل العذاب ليتحول جحيمة إلى جنة، هذا الصبر كله من أجل التضحية في سبيل الوطن.

2- أسطورة سيزيف: وظف الشاعر محمود درويش الرمز الأسطوري في شعره والذي يستمد مقوماته أساساً من الأسطورة؛ أي من الإيحاءات التي تقدمها الأسطورة، واستخدم أسطورة "سيزيف" في قصيدته "برقية من السجن" دلالة على عناء شعبه تحت وطأة الاحتلال الصهيوني. بحيث يقول:

مذ جئت أَدفع مهر الحرف، ما ارتفعت

غير النجوم على أسلاك أسواري

أقول للمحكم الأصفاد حول يدي:

هذي أساور أشعاري وإصداري

¹ محمود درويش، عاشق من فلسطين، ص111.

في حجم مجدكم نعلي، وقيد يدي

في طول عمركم المجدول بالعار

أقول للناس، للأحباب: نحن هنا.¹

- تعتبر أسطورة سيزيف من بين أهم الأساطير التي استهلها شعراؤنا، جسدوا بها الوضع الإنساني في عصرنا هذا، وما يعانيه من قهر واستلاب للحريات الفردية والجماعية، ومبدأ العذاب والألم الذين كتبوا على الإنسان. ملخص هذه الأسطورة، أن الآلهة حكمت على سيزيف ملك كورنيتا بتصعيد حجر إلى أعلى الجبل، ولبلوغ هدفه هذا تعرض إلى مشقة كبيرة، فكان كلما صعد بالحجر إلى قمة الجبل ونزل منه، فإن هذا الحجر الضخم يتدحرج وراءه ويهبط، وكان يعيد الكرة إلى ما لا نهاية، وقال البعض الآخر: أنه ارتكب عملاً محرماً، وهو الإفشاء بالأسرار الإلهية، لذلك تقول الأسطورة أن زيوس أرسل إليه إله الموت "تافانوس"، لكن سيزيف نجح في تقييده إلى أن جاء يوم أجبر فيه زيوس سيزيف على الإفراج عن (تافانوس) ونقل سيزيف إلى الجحيم، وعاش بعد ذلك أعواماً عديدة قبل أن يعاقب على جرائمه، فقد حاول الشاعر أن يربط بين قصة هاته الأسطورة ومعاناته التي دامت طويلاً، والمتمثلة في سجنه وإبقائه حبساً مدى طويل والمعاناة التي دامت طويلاً مثلها مثل معاناة سيزيف مع الصخرة.²

- كما تجلت أسطورة سيزيف في قصيدة "قمر الشتاء" يقول الشاعر:

قلبي على قمر

تحجر في مكان

ويقال... كان!

وأنا على الإسفلت

تحت الريح والأمطار

مطعون الجنان

¹ المصدر السابق، ص 115.

² جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشعر الجزائري، المعاصر، ص 225.

لا تفتح الأبواب في وجهي

ولا تمتد نحو يدي يدان.¹

- يوظف الشاعر في الأسطر السابقة أسطورة سيزيف، وطبيعة العلاقة التي يقيمها النص الحاضر مع النص الأسطوري الغائب هي علاقة تكرر لمعانيها، مع إدماج بنيات نصية طارئة على المعنى الأصلي، إلا أن البنيات الطارئة تذوب وتتلاشى كلها في المعنى المركزي الأسطوري، وبذلك تصبح أسطورة سيزيف جزءاً أساسياً من بناء النص وإنتاج الدلالة العامة له، والشاعر هنا لا يتكلم بصوته، وإنما تحدث بصوت الشخصية الأسطورية عن طريق وصفه لمعاناته في الحياة، ومن سيزيف إلى الشاعر نفسه الذي يحلم بالحب والعيش الكريم، إنه مثل سيزيف كلما صعد إلى أعلى تدحرج مع صخرته إلى أسفل، فهو يبحث عن طريقه، عن غده، عن الحق الذي يعطيه الحق في الحياة وتنفس الحرية.

3- أسطورة تموز البابلية: استخدم الشاعر محمود درويش أسطورة تموز الذي يموت ثم يبعث من

جديد كل عام. يقول الشاعر في قصيدة "تموز والأفعى":

تموز مرّ على خرائبنا

وأيقظ شهوة الأفعى

القمح يحصد مرة أخرى

ويعطش للندى... المرعى

تموز عاد، ليرحم الذكرى

عطشنا... وأحجار من النار

فتساء المنفيّ

كيف يطبع زرع يدي

كيف تسمم ماء أباري؟²

¹ محمود درويش، عاشق من فلسطين، ص 127.

² المصدر نفسه، ص 113.

- يوظف شاعرنا أسطورة الإله "تموز" وهي أسطورة بابلية، تروي أحداثها أن الإله "تموز" صرعه خنزير، فموت مرة كل عام هابطا إلى العالم السفلي، وفي غيابه تختفي حبيبته "عشتار" ربة الطاقات الخصيية في العالم، وتوقفت بذلك عواطف الحب والجنس، فينسى الإنسان والحيوان غرائزهما لحفظ النوع، وتحدد الحياة بالفناء، ولكن ملكة الجحيم - بغير رضاها - تبعث "عشتار" برفقة "تموز" مرة إثر مرة كل شتاء للحياة.¹ فمحمود درويش وظف الرمز الأسطوري لكي يسقطه على واقع الطبقات الكادحة المسحوقة، فهو يؤمن بانتصار الحق على الباطل، وانبعث تموز الذي يمثله الإنسان الفلسطيني الذي سيبعث من جديد، وسينتصر الحق على الباطل وتؤكد من تحقيق حلمه على أرضه ليعيش حياة جديدة بعد الموت.

4- أسطورة السندباد: أسطورة السندباد هي رمز للبحث الدؤوب الدائم واختراق المجهول "رمز الاكتشاف والبحث عن عوالم الامتلاء والخصوبة، فقد ألهمت الشعراء بوصفها المعادل الموضوعي لإشراقات رؤيوية، رؤيا البعث المنتظر لواقع هش ومتآكل"²

وأسطورة السندباد كان لها حضور قوي في الشعر العربي المعاصر، يقول محمود درويش في قصيدته "المناديل":

وبكى، لصوت ما، حنين
في شراع السندباد
ردي، سألتك، شهقة المنديل
مزمارا ينادي...
فرحي بأن ألقاك وعدا
كان يكبر في بعادي
مالي سوى عينيك، لا تبكي
على موت معاد.³

¹http://www.altaged.com

²جمال مبارك: التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، ص212.

³محمود درويش، عاشق من فلسطين، ص136.

- فالشاعر في هذا النموذج يتنفس في أجواء أسطورة السندباد البحري ورحلاته المتعددة، وهي أجواء مليئة بالمغامرات والمتاعب، ترفض الواقع المتكلس وتسعى إلى الثورة عليه، والبحث عن انبعاث جديد، حيث تخيل الشاعر نفسه سندبادًا بحريًا معاصرًا يعيش في واقع متصلب متعب يشد قبضه على حريته الفردية، بحيث لا يتركه يعتمد على ذاته لخوض الأهوال والمصاعب، بغية الإتيان بالنفائس والعجائب، ومواصلة البحث عن انبعاث جديد يبدد مرارة اليأس ويخصب الحياة بالأمل في ولادة جديدة منتظرة.
- كما يوظف هذا الشاعر أسطورة السندباد في قصيدته "عاشق من فلسطين" التي يقول فيها:

رأيتك أمس في الميناء
مسافرة بلا أهل... بلا زاد
ركضت إليك كالأيتام
أسأل حكمة الأجداد
لماذا تسحب البيارة الخضراء
إلى سجن، إلى منفى، إلى ميناء
وتبقى رغم رحلتها
ورغم روائح الأملاح والأشواق
تبقى دائما خضراء؟¹

- هذا النص يشتغل على نص أسطوري سابق هو (أسطورة السندباد). بالإضافة إلى بعض التنويعات، غير أن الشاعر لم ينقل النص الأسطوري بحمولته التاريخية، وإنما حوّل جزءا كبيرا منه، حيث أضفى عليه من ذاته ومن تجربته الخاصة، فإذا نحّ أمام سندباد معاصر، يبحث عن مبتغاه في الأرض والسماء، فالسندباد الأسطوري والشاعر (السندباد المعاصر) كلاهما جواب آفاق، لكن الثاني يبحث عن حقيقة روحية علوية تنتشله من واقعه المهترئ وتبعثه من جديد، فهو سندباد شمسي لا

¹المصدر السابق، ص88.

بحري، لا يستقر له قرار، ولا يهدأ له بال، إلا إذا حجب الغيب، وبذلك يتحول الشاعر إلى سندباد عصري مغامر، رحلته البحث عن الحرية واستقرار أرضه.

5- أسطورة أوديس: لقد استهوت أسطورة أوديس العديد من الشعراء المعاصرين ووظفوها في أشعارهم، وقد اتخذ هؤلاء الشعراء من طريقة الامتصاص لمغزاها الشعوري العام وسيلة للتناص معها. يقول محمود درويش في قصيدته "في انتظار العائدين":

أكوخ أحبابي على صدر الرمال
وأنا مع الأمطار ساهر...
وأنا ابن عوليس الذي انتظر البريد من الشمال
ناداه بحار، ولكن لم يسافر
لحم المراكب، وانتحى أعلى الجبال
يا صخرة صلّي عليها والدي لتصون ثائر
أنا لن أبيعك بالآلي
أنا لن أسافر...
أنا لن أسافر...
أنا لن أسافر...
أصوات أحبابي تشق الرياح، تقتحم الحصون
يا أمتنا انتظري أمام الباب، إنا عائدون
هذا زمان لا كما يتخيلون...
بمشيئة الملاح تجري الرياح...
والتيار يغلبه السفين!¹

¹المصدر السابق، ص121.

- لم يقتحم محمود درويش الأسطورة على سياق الشعر بل أضفى عليها من ذاته، وألبسها ثياب العصر، وفي هذا المقطع الشعري لم يشر شاعرنا صراحة إلى هذه الأسطورة، إلا أننا نلمس روح أوديس ترفرف فوق النص. تبدأ هذه الأسطورة بنهاية حصار طروادة وبدء عودة المحاربين إلى بيوتهم، لكن بسبب غضب إله البحر بوسيدون على أوديسيوس، تمتلئ رحلته بالمشاكل التي يضعها في طريقه بوسيدون، أو بسبب تهور بحارته، يبقى في رحلته مدة عشر سنوات يواجه خلالها الكثير من المخاطر، وطوال هذه الفترة تبقى زوجته بانتظاره ممتنعة عن الزواج، رغم العروض الكثيرة التي تتلقاها، خاصة بعد وصول أغلب المحاربين في حرب طروادة ما عدا زوجها، تنتهي الملحمة بوصوله إلى إيثاكا وقيامه بالانتقام من الذين اضطهدوا زوجته بتلك الفترة، فهذه الأسطورة تمثل قدرات الإنسان الخارقة في اقتحام المجهول، حيث تظهر الصراع بين البشر والآلهة التي تمثل عنف الطبيعة صراع دائم، ونحن نرى بوضوح معاني وصفات كثيرة تحويها شخصية أوديسيوس منه قيادة وإحساسه بمسؤولية نحو بحارته والإصرار والعزيمة على النجاة، والعودة والحنين والشوق للزوجة والوطن، والشجاعة في مواجهة المخاطر¹ مثله مثل شاعرنا الذي تحد الصهيون بقدراته، من أجل إسعاد وطنه وعدم تركه يضيع.

- نستنتج من خلال الرمز الأسطوري، أن الشاعر استحضر أساطير يونانية وبابلية..ومن بين هاته الأساطير كانت "أسطورة سيزيف"، دلالة على المعاناة التي أحس بها الشاعر، فإحساس سيزيف حين حل به العذاب هو نفسه إحساس الشاعر تحت وطأة المعاناة والعذاب من قبل العدو الإسرائيلي. كما وظف "أسطورة تموز" دلالة على الحب والتضحية التي يقدمها الفلسطيني فداءً لأرضه، فهو مثل تموز يسعى إلى بعث الحب، وانتشار الخصب والنماء لا الدمار والهلاك، وميلاد الحياة من جديد.

وقد لجأ الشاعر إلى توظيف "أسطورة برومئوس" دلالة على المقاومة والصمود والتضحية في سبيل إسعاد الآخرين.

¹<http://www.altaged.com>

ثالثا: الرمز الديني:

لقد استقى محمود درويش من القرآن الكريم مادة لتجربته الشعرية، واستخدم رموزا من التراث الإسلامي مستمدة من سير الأنبياء - سلام الله عليهم - مما جاء به وبهم للعودة إلى التراث الديني اليهودي والمسيحي، وكأنه ينفي الوجود الصهيوني القائم على أساس ديني، باعتبار أن الأديان ليست ملكا خاصا لأحد، وكأنه لا يمكن أن يضفي شرعية على اغتصاب الأوطان، بالإضافة إلى أن الموضوعات الدينية وشخصياتها غنية في مدلولاته الرامزة، ويمكن توظيفها شعريا لخدمة أغراض متعددة موحية ومعبرة.

1- شخصية النبي نوح عليه السلام: اتخذ شاعر المقاومة رموزا من التراث الإسلامي ومن القرآن الكريم متمثلة في شخصيات دينية، ليرز من خلالها مواقف من الثورة، فاستخدم شخصية النبي نوح عليه السلام - رمزا مجسدا للثورة ضد الظلم والطغيان والتمايز. يقول في قصيدة "مطر":

يا نوح!
هربي غصن زيتون!
ووالدي... حمامة
إنا صنعنا جنة
كائن نهايتها صناديق قمامة!
يا نوح!
لا ترحل بنا
إن الممات هنا سلامة
...إن جذور لا تعيش بغير أرض
ولكن أرضي قمامة!¹

¹ محمود درويش، عاشق من فلسطين، ص 124/125.

- ذكر الشاعر في هذا المقطع الشعري اسم النبي نوح عليه السلام، وذكره مربوطاً بقصته المشهورة وسفينته التي تدل على الأمان، وذكرها في القصيدة يدل على انتقال حال الوطن من حال إلى حال؛ أي من الظلماء إلى النور، وجاء هنا غصن الزيتون الذي رمز به للسلام والمحبة، وارتبط غصن الزيتون بالحمامة؛ أي حمل الحمامة لغصن الزيتون، "الشعار المعروف". وذكر الوالدة هو الأصل؛ أي أصلنا مسلمين، نحب السلام. ثم انتقل الشاعر وقال بأن نهايتهم كانت مرمية في صناديق القمامة؛ أي تلك اللجنة الخضراء التي صنعناها بأيدينا وألفناها نرعاهما، ها هي الآن في صناديق القمامة، بمعنى أنها الآن لا وجود لها، ولم يعد لها قيمة. كما عاود الشاعر ذكر النبي نوح عليه السلام وطلب منه يا نوح ألا يركبه سفينته والتي يعرف أنها تؤدي إلى بر الأمان، وفضل البقاء في هذه الأرض وعدم التخلي عنها.

2- شخصية سيدنا آدم عليه السلام: كما استحضر شاعرنا محمود درويش من التراث الإسلامي القصة الدينية لسيدنا آدم عليه أفضل السلام. يقول في قصيدة "أبيات غزل":

أتفاحتي! يا أحب حرام يباح

إذا فهمت مقلتك شرودي وصمتي

أنا، عجباً، كيف تشكو الرياح

بقائي لديك؟ وأنت

خلود النبيذ بصوتي¹

أشار الشاعر في هذا المقطع إلى أن سيدنا آدم عليه السلام قد أعجب بهذه الفاكهة (التفاحة)، فهو في صراع بين ضميره ورغبته، فكلاهما يتصارع بين أن يأكلها ليملاً ورغبته ويشبعها، وبين أمر الله بالرفض وعدم الاقتراب منها، فهو في شرود دائم، ومقلتيه تنظر إلى هذه الفاكهة كلما تجول في الجنة، ولكن رياح القدر ومشية الله كانت بأن تعصف به هذه الرياح وتخرجه من الجنة، لأنه لم يستطع أن يتمالك أمام نزعات وشهوات الشيطان التي تغلبت على أمر الله - سبحانه وتعالى - فلم يعد لبقائه في الجنة وجود، وذهب الخلود لأنه كان في حالة سكر وتناس أوامر الله.

¹المصدر السابق، ص140.

3- شخصية مريم ^{عليها السلام}: هي السيدة العذراء المعصومة الزكية الطيبة الطاهرة التقية، سيدة نساء عالمنا، مريم بنت عمران من نسل إبراهيم خليل الرحمان، كانت حياتها عبارة عن سلسلة من الامتحانات والابتلاءات والصبر على ما كتب الله تعالى. أكبر الامتحانات لمريم العابدة الزاهدة المطهرة، أن يبشرها الله سبحانه وتعالى بولد منها، وهي من غير زوج فأتممت في عرضها لكن بشرها الله سبحانه بولد يدافع عنها. تقول قصيدة "أبيات غزل":

سألتك: هزي بأجمل كف على الأرض

غصن الزمان!

لتسقط أوراق ماص وحاضر

ويولد في لحظة توأمان

ملاك... وشاعر!

ونعرف كيف يعود الرماد لهيبا

إذا اعترف العاشقان!¹

- فالشاعر هنا يعيد كتابة النص القرآني الغائب، ويوظفه توظيفا فنيا بطريقة الامتصاص للآية الكريمة: ﴿ وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴾² يمتصها إشاريا وداليا، وينشرها في خطابه ليحقق معادلا موضوعيا للنص الشعري مع الجو النفسي المشحون بالدهشة واللهفة في النص القرآني؛ لأن الشاعر الذي هدّه الصهيون ودمر حياته لا بد أن ينتظر معجزة تفتح أمامه باب الحياة من جديد، وتهذب بالمخلوف في نفسه، وتشيع فيه الأمن.

4- أهل الكهف: كان القرآن الكريم أول النصوص التي استأثرت بعناية الشاعر المعاصر، باعتباره النص الذي يحمل من أبعاد اللامحدود للحياة وللإنسان، وهو ما يسمح لنا بتتبع عدة نصوص معاصرة تفاعلت مع النص القرآني واستنصت آياته.

¹ محمود درويش، عاشق من فلسطين، ص 139

² سورة مريم الآية: [25].

ومن النماذج التي وظفت النص القرآني، المقطع التالي من قصيدة "عاشق من فلسطين":

رأيتك عند باب الكهف
معلقة على جبل الغسيل ثياب أيتامك
رأيتك في المواقد... في الشوارع...
في الزرائب... في دم الشمس
رأيتك في أغاني اليتيم والبؤس!
رأيتك ملء ملح البحر والرمل¹

فالشاعر محمود درويش حاول أن يدخل قصة أهل الكهف في قصيدته، وهي قصة شبان وفقهم الله، وألهمهم الإيمان، فعرفوا ربهم، وأنكروا ما عليه قومهم من عبادة الأوثان، وقاموا بين أظهرهم معلنين فيما بينهم عقيدتهم، خائفين من سطوة قومهم فقالوا: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوهُنَّ إِلَّا هُنَّ أَلْهَامٌ لَّنَّآ إِذًا شَطَطًا هَتُّوْلَآءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطٰنٍ بَيْنِ يَدَيْهِمْ أَكْثَرُ مِمَّا أَفْتَرٰى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۗ﴾². ولبثوا في الكهف لمدة سنوات طويلة. فالشاعر أراد أن يقيم مفارقة بين

القصيدة والآيات المستحضرة من النص الأصلي (القرآني)، توحى بالإصرار والتحدي والمقاومة والصبر على الشدائد.

5- شخصية المسيح عليه السلام: هو عيسى بن مريم، وهو رسول الله والمسيح في الإسلام، ويعتبر من أولي العزم من الرسل، أرسل ليقود بني إسرائيل إلى كتاب مقدس جديد وهو الإنجيل، وكانت ولادته معجزة، ومن بين معجزاته إحياء الموتى وإبصار العميان بإذن الله، ولم يقتل لكن رفعه الله إليه.

ولقد وظف الشاعر في قصيدته "قال المغني" قصة المسيح عليه السلام الرمزية:

أبعدوا عنه سامعيه

¹ محمود درويش، عاشق من فلسطين، ص 90.

² سورة الكهف الآية: [14-15].

والسكارى...

وقيدوه

ورموه في غرفة التوقيف

شتموا أمه، وأم أبيه

والمغني...

يتغنى بشعر شمس الخريف

يضمده الجرح... بالوتر!

المغني على صليب الألم

جرحه ساطع كنجم

قال للناس حوله

كل شيء... سوى الندم

هكذا مت واقفا

واقفا مت كالشجر!

هكذا يصبح الصليب.¹

- يوجه الشاعر خطاباته في هذه الأبيات إلى السيد المسيح عليه السلام، بحيث تذكرنا هذه القصة بالمؤامرة التي تعرض لها والسيد المسيح، كأنها تشير إلى أولئك "اليهود" الذين عملوا على صلبه، وكيف يحاولون اليوم أن يعيدوا جريمتهم مرة أخرى باحتلال القدس وصلبها، فالقدس التي تتذكرك وتحيي عيدك وذكرك كل عام، أوقف الجلال هذه الاحتفالات، حيث يعمل العدو الصهيوني على خنق المدينة، وتغيير معالمها، وتزييف أسمائها تحت سمع العالم ومرآه ولا من يحرك ساكنا، وهكذا يترك لنا الشاعر الوصول إلى الدلالة الرمزية بين قصة الصلب الأول وقصة الصلب الثانية.

¹ محمود درويش، عاشق من فلسطين، ص 96.

- ومن خلال دراستي للرمز الديني نستخلص أن الشاعر استوحى ألفاظه من القرآن الكريم، فقد وظف رموزاً من ديننا العظيم، فكانت قصة المسيح ونوح عليهما السلام حاضرة في أشعاره دلالة على اغتصاب وطنه، واستعمل لفظة أهل الكهف دلالة على العزيمة وعدم الاستسلام أمام العدو الغاشم، وعدم التخلي عن هذه الأرض، كما استحضر قصة العذراء مريم الطاهرة العفيفة، ليعبر عن مدى طهارة هذه البلاد.

رابعاً: رموز متنوعة:

وظف درويش عدداً من الرموز العامة، كدلالات مختلفة ليعبر عن أفكاره، ومن هذه الألفاظ: الأم، الجد، الأعداد، الألوان، وغيرها. وسنحاول التطرق لهذه الألفاظ وفيما ترمز إليه خلال نماذج اخترناها من شعره.

1- العدد خمسة (05): لقد استحضر الشاعر محمود درويش في قصيدته "مطر" لفظة "خمسة" للدلالة على خمسة صلوات، التي تعني تمام الشيء، كما تدل على نفاذ الصبر، ولا بد من انتفاضة تغير هذا الوضع المتردي الذي دام طويلاً، حتى أن هذا الوضع وصفه بالورث؛ أي أنه اعتبر هذا الحزن يأتي بالوراثة؛ أي من جيل إلى جيل، وكل جيل يعيش هذه المعاناة. فيقول:

ناري

وخمس زنايق شمعية في المزهريّة

وعزاًؤنا الموروث

في الغيمات ماء

والأرض تعطش والسما

- ترى - وخمس زنايق شمعية في المزهريّة.¹

2- اللون الأزرق: رمز الشاعر باللون الأزرق للصفاء، وهو صفاء البال من أكدار الهموم والمواجع، هذا الصفاء الذي لا سبيل إلى التنغم به، إلا في ظل الحياة الطليقة الهائنة في ظلال الأرض الحبيبة، أو

¹المصدر السابق، ص123.

بمعنى آخر أن الشاعر يقول بأن رغم الأحزان والمواجع، إلا أن قلوبنا صافية نقية، ولكن صفاء قلوبنا يكتمل أكثر براحة أرضنا وتحررها، يقول في قصيدة "قصائد عن حب قدسم":

إن أواخر الليل
تعريني من الألوان والظل
وتحميني من الذل
وفي عينيك، يا قمري القدسم
يشدني أصلي
إلى إغفاءة زرقاء
تحت الشمس والقمر
بعيدا عن دجى المنفى..
قريبا من حمى أهلي.¹

3- القهوة: ذكر الشاعر في هذه المقطوعة من قصيدة "قصائد عن حب قدسم" القهوة، وقصد بها الهوية العربية، كما رمز بها إلى الأصل والانتماء، وإلى تجذر الوجود العربي في أرض فلسطين، هذا الوطن السليب الذي حرم أهله من وصاله، بمعنى أن العرب ينتمون إلى بلد واحد، هذا الانتماء دعاهم إلى الدفاع على الأرض فلسطين، والوقوف مع إخوانهم الفلسطينيين في محتهم هذه. يقول:

وحيث كتبت عن عينيك
نفظ كل ما أكتب
وشاركنا وسادتنا..
وقهوتنا
وحيث ذهبت
لم يذهب.²

¹ المصدر السابق، ص 149.

² المصدر نفسه، ص 149.

4- التمثال: درويش شاعر فلسطيني يعيش في احتلال وظلم واستبداد، وهذا ما جعله يستحضر ألفاظا لترمز لهذا الظلم والاستبداد، الذي يعيشه الشعب الفلسطيني عامة، فلفظة تمثال تدل على الموت وعدم وجود حياة؛ أي أن الشاعر من كثر الهموم والمآسي التي يعيشها جسمه تجمد وأصبح لا يبالي شيء سواء الجميل أو القبيح منها، قلبه تحجر وأصبح يعيش كالتمثال المصنوع من الحجر. بحيث يقول في قصيدة "خواطر في شارع":

ولبست قمبازا بلون دم عتيق

فوق صخرة

وعبأة في لون حفرة

يا وجه جدي

يا نبيا ما ابتسم

من أي قبر جئتيني

لتحيلني تمثال سم.¹

5- المخدة: استعمل درويش لفظة "المخدة" دلالة على هجرة النوم؛ لأن المخدة رمز للنوم، فهو تعب من السهر، واشتاق للنوم لكي يرتاح، لكنه يرجع ويقول أن هذا النوم لا يلزمني فأنا أفضل الدفاع عن وطني بدل النوم والارتياح. يقول في قصيدة "خائف من القمر":

خبثيني... بوحدتي

وخذي المجد والسهر

ودعي لي مخدتي

أنت عندي

أم القمر؟²

¹ محمود درويش، عاشق من فلسطين، ص131.

² المصدر نفسه، ص138

6- السطح: في المنفى أصبح الشيء الوحيد الذي يتقنه اللاجئين هو البكاء على ضياع الوطن "مرثية الوطن"، لكن الشاعر يؤكد على عدم نسيانه لقضيته واستمراره بالتغني بها فوق سطوح النكبة، والسطح رمز لانطلاقة الرؤية؛ لأن الرؤية تكون شاملة واضحة إذا كانت من السطح، بحيث يقول في قصيدة "عاشق من فلسطين":

لن نتقن سوى مرثية الوطن
سننزعها معا في صدر جيتار
وفق سطوح نكبتنا، سنعرفها
لأقمار مشوهة... وأحجار.¹

7- الميناء: تحدث الشاعر من خلال المقطع الشعري من نفس القصيدة السابقة عن الميناء لكنه يكرهه؛ لأنه المكان الذي من خلاله بدأ يحلله اللجوء والتشرد والضياع، هذا الوطن أصبح بلا أهل، بلا زاد، فالأهل "اللاجئون" خرجوا من الوطن رغما عنهم، والزاد "المناضلون" هم جزء من اللاجئين وقوله "كالأيتام" دليل على شعوره بالظلم والحزن. يقول:

رأيتك أمس في الميناء
مسافرة بلا أهل... بلا زاد
ركضت إليك كالأيتام
أسأل حكمة الأجداد
لماذا تسحب البيارة الخضراء
إلى سجن، إلى منفى، إلى ميناء.²

8- الباب والشباك: يبقى شاعرنا رغم ما يمر به إلا أنه دائما على يقين بإتيان الفرج - بإذن الله - فقد وظف لفظة "الباب والشباك" في قصيدة "عاشق من فلسطين"، ورمز بها للأمل والحربة في "ليل الأعاصير" الاحتلال وممارساته بما فيها القتل والتشريد. يقول:

¹المصدر السابق، ص88.

²المصدر نفسه، ص88.

فتحت الباب والشباك في ليل الأعاصير

على قمر تصلب في ليالينا

وقلت لليلتي: دوري!

وراء الليل والسور

فلي وعد مع الكلمات والنور..¹

9- الأم: من الرموز التي استحضرتها درويش للدلالة على الوطن وفلسطين المحتلة، رمز "الأم" التي تدل على الحنان والعطف، فهو يتأسف عن الأيام التي كانت فيها حرة طليقة، يحن إلى هدوئها وسكينتها، ويعشق الجلوس فيها مثل اشتياقه لخبز أمه وقهوتها ومأكلها ومشربها، فرغم المآسي والآلام التي يعيشها، إلا أنه يجذب البقاء على قيد الحياة لكي يحميها ويدافع عنها، كما وظف لفظة الأم لأنها تلد من جديد، وأنه مهما قتلوا أولادها فسوف تلد أبطالا جدد يدافعون عنها. نحو قول درويش في قصيدته "إلى أمي":

أحن إلى خبز أمي

وقهوة أمي

ولمسة أمي..

وتكبر في الطفولة

يوما على صدر يوم

وأعشق عمري لأني إذا متّ

أحجل من دمع أمي!²

10- الجد: استخدم الشاعر في قصيدته لفظة "الجد"، للدلالة على الماضي المجيد الذي كانت تعيشه الأرض فلسطين، فهو يتمنى أن يرجع هذا البلد مثلما كان في الماضي. يقول في "مطر":

عفوية صلوات جدتنا

¹المصدر السابق، ص91.

²المصدر نفسه، ص106.

وكان جدي يحب الكستنا
وطعام أمني
قد كنت كالحمر الوديع
وكان همي
أن يفاجئنا الربيع
يا جدي المرحوم! أهلا بالمطر.¹

¹المصدر السابق، ص123-124.



خاتمة

يعد توظيف الرمز في القصيدة الحديثة سمة مشتركة بين غالبية الشعراء على مستويات متفاوتة من حيث المراوحة بين الرمز البسيط إلى العميق إلى الأعمق.. وهكذا ومع أن الرمز أو الترميز في الأدب بعامة سمة أسلوبية وأحد عناصر النص الأدبي الجوهرية منذ القدم، إلا أننا نراه قد تنوع وتعمق وسيطر على لغة القصيدة الحديثة وتراكيبها وصورها وبنياتها المختلفة، والرمز بشتى صوره المجازية والبلاغية والإيحائية تعميق للمعنى الشعري، ومصدر للإدهاش والتأثير وتجسيد لجماليات التشكيل الشعري، وإذا وظف الرمز بشكل جمالي منسجم، واتساق فكري دقيق مقنع، فإنه يسهم في الارتقاء بشعرية القصيدة وعمق دلالاتها وشدة تأثيرها في المتلقي.

واغترق شعراؤنا من معين الرمز الأسطوري والتاريخي والثقافي، صوراً فنية دالة أغنت نصوصهم الشعرية وعمقتها فكراً وجمالاً.. وتميزت أشعار محمود درويش في دواوينه الأخيرة بتوظيف الرموز المختلفة بشكل مكثف عميق موح، حيث ارتقت القصيدة العربية الحديثة إلى مستويات إبداعية مبتكرة متطورة تتوازي مع أعظم الأشعار العالمية في القرن العشرين. ويمكن تلخيص مجمل النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث في الآتي:

- استطاع محمود درويش أن يحول اللغة الشعرية إلى لغة رمزية تستمد قدرتها الإيحائية من تجاوزها للواقع.
- إن درويش في كثير من قصائده، لا يحدد معنى رموزه مسبقاً، بل يدع القارئ يكتشف هذه الرموز عن طريق خلق حياة جديدة في النص.
- تحولت الرمزية في شعر محمود درويش إلى عقيدة جمالية، تحتمل التحقيق الرمزي لحلم فني من أفكاره.
- استطاع درويش أن يحيل كل رمز من الرموز التي استعملها إلى رموز تحدٍ.
- لم يقتصر الرافد الديني لرموز درويش على الإسلام، بل امتد إلى باقي الأديان السماوية والشرائع البشرية والفكر الإنساني عامة.

- حظيت الرموز الأسطورية في شعر محمود درويش بنصيب وافر، إذ تحول درويش إلى صناعة أساطيره من مخيلته وأسطرة بعض الرموز التي ابتدعها.
 - لم يكن درويش مكثراً من استعمال الرموز التراثية الإنسانية، بقدر ما كان مبتدعاً لرموزه الشعرية الخاصة، من خلال أسطورة الأبطال والأحداث والأماكن، وهذا من أهم أسرار حدثه في الإيقاع الأسطوري.
 - يمكن اعتبار درويش شاعراً مبتدعاً لرموز شعرية حديثة سوف تكون في المستقبل رموزاً تراثية.
 - إن انتماء الشاعر الوطني والقومي والديني، لم يمنعه من التعاطف مع كل التجارب الإنسانية التي كانت تبحث عن العدالة في مواجهة الظلم.
- ختاماً أتمنى أن تكون هذه الدراسة قد حققت أهدافها، وأجابت عن إشكالاتها المطروحة، بتحليل الرمز في شعر محمود درويش، والكشف عن مختلف جوانبه الفكرية والأدبية، وأهمية اعتماد الشاعر في تعميق تجربته الشعرية، ولا ندعي إلماماً بالموضوع، لأنه بقيت استفهامات عدة معلقة، تحتاج لدراسات أكاديمية أخرى، لأن حدود البحث العلمي لا تنتهي أبداً.
- والله ولي التوفيق.

قائمة المصادر والمراجع



القرآن الكريم برواية حفص

I- المصادر

1. محمود درويش: الأعمال الأولى، عاشق من فلسطين، رياض الريس للكتب والنشر، دط، دت.

II- المراجع:

2. إبراهيم رماني:

- أوراق في النقد الأدبي، دار الشهاب، باتنة، ط1، 1965.

- الغموض في الشعر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية، بن عكنون الجزائر، 1991.

3. ابن الأثير: المثل السائر، تح: أحمد الصوفي، دار النهضة، مصر، القاهرة، دط، دت، ج4.

4. أنس داود: الأسطورة في الشعر المعاصر، مكتبة عن الشمس، القاهرة، دط، 1975.

5. إيليا الحاوي:

- الرمزية السريالية في الشعر الغربي والعربي، دار الثقافة، لبنان، بيروت، ط2، 1983.

- في النقد والأدب الكاتب اللبناني، لبنان، بيروت، ط1، 1980، ج5.

6. بدر شاكر السياب، الديوان، دار العودة، بيروت، لبنان، دط، 1979م.

7. بهاء الدين السبكي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، القاهرة، مصر، ج4، 1937.

8. تسعديت آيت حمودي: أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم، دار الحدائق، لبنان، ط1، 1986.

9. تشارلز تشادويك: الرمزية، تر: نسيم إبراهيم يوسف. مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1991.

10. التطاوي عبد الله: المعروضات الشعرية، أنماط و تجارب، داء قباء، القاهرة، 1998.

11. جمال مباركي: التناس وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، إصدارات رابطة الإبداع الثقافية، دار هومة الجزائر، دط، دت.

12. خليل مرسي: قراءات في الشعر العربي الحديث المعاصر، اتحاد كتاب العرب، دمشق، دط، 2000.

13. درويش الجندي:

- الرمز في الأدب العربي، دار نهضة، مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، دت.

- الرمزية، في الأدب اللغوي الحديث، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، مصر 1958.

14. رجاء عيد: لغة الشعر قراءة في الشعر العربي الحديث، مطبعة أطلنس، القاهرة، دط، 1985.

15. ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، تح: محي الدين عبد الحميد، دار الجليل، بيروت، ط5، 1981.

16. زايد علي عشري: بناء القصيدة العربية الحديثة، دار الفصحى، القاهرة، 78 - 19.

17. سعد الدين كليب: منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، دط، 1997.

18. سعيد بن رزقة: الحداثة في الشعر العربي، أبحاث النشر والتوزيع، لبنان، ط2، 2004.

19. شايف عكاشة: مقدمة في نظرية الأدب، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ج1.

20. صلاح فصل: النظرية البنائية في النقد الأدبي، بيروت، القاهرة، ط1، دت.

21. عاطف جودة نصر: الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس، بيروت، لبنان ط3، 1983.

22. عبد الحميد جيدة: الاتجاهات الجديد في الشعر العربي المعاصر، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط1، 1980.

23. عبد الحميد هيمة: البنيات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر، مطبعة هومة، ط1 2002.

24. عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، منشورات اتحاد كتاب العرب، دط، 1999.

25. عثمان حشلاف: الرمز ودلالته في شعر المغرب العربي المعاصر، منشورات التين الجاحظية، ط2، 200.

26. عدنان حسين قاسم، التصوير الشعري، رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، الدار العربية للنشر والتوزيع، مصر، دط، دت.

27. عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، قضاياها و ظواهره الفنية و المعنوية ، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، مصر ، ط1 ، 1994.

28. ابن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، دار الصادر، بيروت، ط1، 1992.

29. عمر يوسف قادري: التجربة الشعرية عند فدوى طوقان بين الشكل والمضمون، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، دط، دت.
30. فايز علي: الرمزية والرومانسية في الشعر العربي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، دط، 1999.
31. ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، دار مصر للطباعة والنشر، القاهرة، دط، دت.
32. مجدي وهبة: معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، دط، 1974.
33. محمد العيد حمود: الحداثة في الشعر العربي المعاصر (بياناتها ومظاهرها)، الشركة العالمية للكتابة، بيروت، لبنان، ط1، 1996.
34. محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 1997.
35. محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1987.
36. محمد مندور: الأدب ومذاهبه، نهضة مصر، ط7، يناير 2008.
37. محمد يعيش: شعرية الخطاب السوفي الرمز الخمري عند ابن الفارض أنموذج، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط، ط، 2003.
38. مرسي الصباغ: القصص الشعبي العربي، دار الوفاء لنديا للطباعة والنشر، الإسكندرية، دط، دت..
39. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى: تهذيب اللغة، مادة (رمز)، تح: أحمد عبد العليم البردوني، الدار المعزية للتأليف والترجمة، مطابع القاهرة، مصر، دط، دت.
40. ابن منظور: لسان العرب، مج3، دار الصادر، بيروت، دط، 1997.
41. موهوب مصطفى: الرمزية عند البحتري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1981.
42. نسيب شاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر الاتباعية الرومانسية، الواقعية الرمزية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1984.

43. نسيمة بوضلاح: تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، رابطة الإبداع الثقافية الوطنية، ط1، 2003.

44. أبي نصر السراج الطوسي: اللمع في التصوف، تح: د: ع الباقي سرور، ع الحلليم محمود، دار الكتب الحديثة و مكتبة المثنى بغداد، د، ك، (1380هـ/1960م).

III- الرسائل الجامعية:

45. انطوان غطاس كرم: الرمزية و الأدب العربي الحديث، رسالة ماجستير للأساتذة في الجامعة الأمريكية، بيروت، 1947.

IV- المجلات:

1. مجلة الوحدة: التأصيل والتحديث في الشعر العربي، الرباط، العدد 82، يوليو 1991.

V- المواقع الإلكترونية:

1- <http://www.altaged.com>

نور و نور خورشید

الصفحة	العنوان
	البسمة
	الآية
	شكر وعرهان
أ	مقدمة
الفصل الأول: في ماهية الرمز والرمزية	
10	I - ماهية الرمز
10	1- تعريف الرمز (لغة واصطلاحاً)
13	2- أنواع الرمز
17	3- شروط الرمز ومنابعه
24	4- سمات وطرق استخدام الرمز
29	5- القيمة الفنية والأدبية للرمز
31	II - في الرمزية: نشأة ومفهوما وتطورا وخصائصا
31	1- مفهوم المذهب الرمزي
32	2- نشأة المذهب الرمزي
33	3- تطور الرمزية
35	4- خصائص الرمزية
الفصل الثاني: أنماط الرمز ودلالاته في الديوان	
39	توطئة
41	أولاً: الرمز الطبيعي
41	1- الحيوانات
43	2- الطيور
46	3- المظاهر الطبيعية
55	ثانياً: الرمز الأسطوري
56	1- أسطورة برومثيروس

فهرس الموضوعات

59	2- أسطورة سيزيف
61	3- أسطورة تموز البابلية
62	4- أسطورة السندباد
64	5- أسطورة أوديس
66	ثالثا: الرمز الديني
66	1- شخصية النبي نوح عليه السلام
67	2- شخصية سيدنا آدم عليه السلام
68	3- شخصية مريم عليه السلام
68	4- أهل الكهف
69	5- شخصية المسيح عليه السلام
71	رابعا: رموز متنوعة
78	خاتمة
81	قائمة المصادر والمراجع
86	فهرس الموضوعات

ا
س
الله

م
محمد